

مطبوعة مقياس علوم القرآن

سنة أولى جذع مشترك

2022/2021

أ.د. عبد الكريم بوغزاله

ملاحظة: من عنده الكتاب اكتفى به.

ومن عدمه فهذه المطبوعة

مدخل تمهيدي:

التعريف بالقرآن الكريم وعلومه، ونشأة علوم القرآن ومراحلها، وأهم المصنفات القديمة والحديثة فيها

تعريف القرآن الكريم:

لغة: وقع خلاف في هذا اللفظ من الناحية اللغوية على مذهبين:

المذهب الأول(1): أنه اسم جامد غير مهموز مثل التوراة والإنجيل، ودليله قراءة عبد الله بن كثير المكي في قول

الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]، وهو رأي الإمام إسماعيل بن قسطنطين شيخ الإمام الشافعي.

المذهب الثاني: أنه اسم مشتق على رأيين:

الرأي الأول: قالوا أنه من مادة: (ق ر ن)، وعليه فالنون أصلية، واختلفوا أيضا:

ف قيل:

1. إنه مشتق من قرن الشيء بالشيء، يقال: قرن البعير بالبعير إذا جمع بينهما، وكجمع العمرة والحج في إحرام

واحد قران، وهو رأي الإمام الأشعري.

2. إنه مشتق من القرائن، إذ آياته يشبه بعضها بعضا، وهو مذهب الفراء.

الرأي الثاني: قالوا أن همزته أصلية: واختلفوا، ف قيل:

1. إنه مصدر مهموز كالقراءة، ومعناه: تلا، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17]،

أي: قراءته، وذهب إليه اللحياني وغيره.

2. وقيل: هو وصف مشتق من القرء، أي: الجمع والضم، يقال: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، وسمي القرآن

الكريم قرآنا لأنه يجمع السور ويضمها، وهو مذهب الزجاج وغيره.

3. ومذهب من قال: أنه مشتق وأن همزته أصلية أرجح، وذلك لكثرة استخدام هذا اللفظ في القرآن الكريم في

هذا المعنى، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة رضي الله عنهم ومن ذلك:

• قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:

204].

• وكذلك قول الله تبارك تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:

98].

• وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ

الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78].

• وكذا قوله عز وجل: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: 106].

• روى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه تزوج امرأة من قريش فكان لا يأتيها، كان يشغله الصوم والصلاة، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: صم من كل شهر ثلاثة أيام، قال: إني أطيق أكثر من ذلك، فما زال به حتى قال له: صم يوما وأفطر يوما، وقال له: اقرأ القرآن في كل شهر، قال: إني أطيق أكثر من ذلك، قال: اقرأه في كل خمس عشرة، قال: إني أطيق أكثر من ذلك، قال: اقرأه في كل سبع، حتى قال: اقرأ في كل ثلاث، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت شرته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك (2).

• وروى البخاري في صحيحه عن أبي بردة قال: قال بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - جدّه أبا موسى، ومعاذًا إلى اليمن فقال: يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا، ولا تنفّرا، وتطاوعا فقال أبو موسى: يا نبي الله: إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر، وشراب من العسل البتع، فقال: كل مسكر حرام، فانطلقا فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال قائما وقاعدا، وعلى راحلته وأتفوقه تفوقا، قال: أما أنا فأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، وضرب فسطاطا فجعلوا يتزاوران فزار معاذ أبا موسى فإذا رجل موثق فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم ثم ارتد، فقال معاذ: لأضربن عنقه (3).

اصطلاحاً:

هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته.

أو هو: اسم للكتاب العربي المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بأقصر سورة من سوره.

أو هو: كلام الله المعجز.

وهو ذاته الذي المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو غير التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وغير الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، تكلم رب العزة به وأسمعه وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم حرفا حرفا للصحابة الكرام، وبلغه الصحابة للأمة، وقد كتب في المصاحف ويقرأه الناس إلى يومنا هذا، وقد حفظ في الصدور ثم السطور،

حيث تكفل رب العزة جل جلاله بحفظه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9].

ويضاف القرآن إلى الله إضافة صفة لا إضافة خلق.

(٢) مسند أحمد، 27/6-32.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، 152/3.

والقرآن اسم لجميع الكتاب المنزل أو بعضه فالآية قرآن، والسورة قرآن (4).

شرح التعريف:

كلام الله تعالى: خرج به كلام سواه من الإنس والجن والملائكة.

المنزل: خرج به ما استأثر الله بعلمه أو لم يأمر بإنزاله لأي من البشر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ

شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ [لقمان: 27].

على محمد - صلى الله عليه وسلم - : خرج به ما نزل على غيره من الأنبياء.

المتعبد بتلاوته: خرجت الأحاديث القدسية.

أسماء القرآن الكريم:

أورد الإمام السيوطي⁽⁵⁾ في كتابه الإتقان: للقرآن الكريم خمسة وخمسين اسما، وهي تشتمل على أسماء ونعوت.

فمن أسمائه: الكتاب، وكلام الله، والفرقان، والذكر والمصحف.

ومن نعوته: هدى، وشفاء، ورحمة، وموعظة، وذكرى، وبشرى، ونذير، وبيان وروح ونور ومبين، ومفصل، ومبارك،

وبصائر، وكريم، وعليّ، وحكيم، وعزيز، ومجيد، وقيّم، وأحسن الحديث...

وقد أفردت كتب في هذا الموضوع لأهميته، منها:

كتاب لعلي بن أحمد الحرالي.

. شرح أسماء الكتاب العزيز، لابن قيم الجوزية.

. الهدى والبيان في أسماء القرآن، لصالح بن إبراهيم البليهي، والكتاب مطبوع ومؤلفه معاصر.

. أسماء القرآن في القرآن، لمحمد جميل غازي، وقد طبع الكتاب ومؤلفه معاصر.

. أسماء القرآن الكريم في القرآن، لخمساوي أحمد خمساوي وهو كتاب مطبوع ومؤلفه معاصر.

. أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم، لعمر الدهيشي، وكتابه مطبوع.

وقد وقع الاختلاف في عدد أسماء القرآن فأوصلها الحرالي إلى نيف وتسعين اسما كما نقل عنه الزركشي في البرهان،

وقد عد الزركشي في كتابه خمسة وخمسين اسما نقلها عن أبي المعالي شيدلة، وذكر الفيروزبادي مائة اسم وعد تسعة

وثمانين اسما فقط.

وعدّ الدكتور خمساوي من المعاصرين تسعة وتسعين اسما، وأورد البليهي ستة وأربعين فقط، لأن الباقي أوصاف لا

أسماء.

⁽⁴⁾ . ينظر: النبأ العظيم، ص 12 وما بعدها، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن، للجديع، ص 9-11.

⁽⁵⁾ . الإتقان في علوم القرآن، 1/143 وما بعدها، وينظر المقدمات الأساسية في علوم القرآن للجديع، ص 12-13.

الفرق بين المصحف والقرآن الكريم:

يطلق المصحف على الأوراق التي كتب عليها القرآن، وهي تسمية حادثة بعد الجمع الصديقي، لذلك ليست هي اسما للقرآن ذاته، وعليه يقال ببيع المصحف الذي هو من عمل البشر لا القرآن، وعليه أيضا يجمع المصحف على مصاحف ولا يجمع لفظ القرآن، وينسب المصحف للصحابة كمصحف عثمان ولا يضاف القرآن إلا لله تعالى وهي كما ذكرنا إضافة صفة لا إضافة خلق⁽⁶⁾.

تعريف علوم القرآن:

علوم القرآن مركب إضافي يقتضي تعريفه بيان طرفيه.

أولا: تعريف علوم القرآن باعتبار كل طرف على حدة:

1. معنى علوم: العلوم جمع علم، والعلم لغة: نقيض الجهل ويطلق على المعرفة واليقين والفهم والإدراك لحقيقة الشيء. والعلم اصطلاحا: جملة من المسائل المضبوطة والمعارف المحددة في موضوع ما(7).
2. مرّ معنى تعريف القرآن لغة واصطلاحا، وهو: اسم للكتاب العربي المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المبتدأ بالبسملة فالفاتحة والمختتم بسورة الناس.

ثانيا: تعريف علوم القرآن باعتبار الطرفين:

مجموعة المعارف والعلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم كعلم التفسير وعلم أسباب النزول، وعلم القراءات، وعلم الرسم القرآني، وعلم إعجاز القرآن، وعلم النسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وغيرها. وقد أوصلها الإمام السيوطي في كتابه الإتقان إلى ثمانين علما.

⁽⁶⁾ ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، ص 30.

⁽⁷⁾ . ينظر: المحرر في علوم القرآن، ص 19-20.

فضل هذا العلم ومكانته وشرفه:

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم (8).

فائدة دراسة علوم القرآن:

لدراسة هذا العلم فوائد كثيرة نذكر منها:

أولاً: يساعد على دراسة القرآن الكريم وفهمه الفهم الصحيح، واستنباط الأحكام والآداب منه، فهذا العلم للمفسر كالمفتاح له.

ثانياً: يعتبر هذا العلم سلاحاً قوياً ضد المستغربين وأذناهم في حملاتهم على القرآن الكريم.

ثالثاً: الثقافة الواسعة التي يحصلها من درس هذه العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى (9).

رابعاً: معرفة الجهود الجبارة التي بذلها علماءنا الكرام ابتداء بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في العناية بعلوم القرآن الكريم التي كان لها بالغ الأثر في الحفاظ على القرآن الكريم من كل دخيل.

(8) زاد المسير، ص3.

(9) . المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبه، ص 26.

نشأة علوم القرآن ومراحلها وأهم المصنفات القديمة والحديثة فيها:

مراحل تدوين علوم القرآن:

مرحلة ما قبل عصر التدوين:

لم تكن علوم القرآن ولا غيرها من العلوم مدونة في العصر الأول واقتصر التدوين على القرآن الكريم، روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لا تكتبوا عني - أي الحديث - ومن كتب عني غير القرآن فليمححه ، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار⁽¹⁰⁾.

فلم يدون كثير من الصحابة والتابعين غير القرآن، بل لم يدونوا الحديث كذلك، واكتفوا بالحفظ والرواية. وظل الأمر على هذه الحال إلى عصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - خشى افتراق الأمة في المصاحف فجمعهم على مصحف واحد، وبعث لكل مصر مصحفا وقارئاً، ونشأ بذلك علم الرسم القرآني، ونسب إليه فقيل: الرسم العثماني.

وفي خلافة علي رضي الله عنه، نشأ علم إعراب القرآن الكريم، وذلك بأمره - رضي الله عنه - أبا الأسود الدؤلي أن يضع قواعد علم النحو، وذلك حتى يسان كتاب الله تعالى عن اللحن فيه. وكذا أمر الدؤلي بوضع نقط الإعراب على المصاحف لما كثر اللحن فيه، فوضع النقط المدور، وتبعه الخليل فوضع النقط المطول.

وفي هذه المرحلة كان كبار الصحابة يتناقلون مرويات التفسير المرفوع منها والموقوف، وتناقل عنهم ذلك تلامذتهم من التابعين ، حتى تكونت مدارس في التفسير في مكة والمدينة والعراق أساتذتها الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وتلامذتها التابعون⁽¹¹⁾ ، وكان التفسير في هذه المرحلة يشمل علم غريب القرآن، وعلم المكي والمدني، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ وغيره.

مرحلة التدوين:

اهتم العلماء بتدوين العلوم عموماً، وعلوم القرآن على وجه الخصوص، ومن أهم ما صنف في علوم القرآن:

مصنفات القرن الثاني الهجري:

في مطلع العهد الأموي بدأ تدوين الحديث الشريف بأمر من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وكان التفسير وعلوم القرآن يمثل جزءاً من مروياته.

وكان ممن صنف في التفسير:

مقاتل بن سليمان، ت: 150هـ.

⁽¹⁰⁾ . رواه مسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الزهد والرفائق ، باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة العلم ، 2298/4-2299.

⁽¹¹⁾ . محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، 101/1.

شعبة بن الحجاج، ت: 160هـ.

سفيان الثوري، ت: 161هـ.

وكيع بن الجراح، ت: 197هـ.

سفيان بن عيينة، ت: 198هـ.

وألف الحسن البصري، ت: 110 هـ كتابا في القراءة، وألف عطاء بن أبي رباح ت: 114 هـ في غريب القرآن، وقتادة بن دعامة السدوسي، ت: 117 هـ في الناسخ والمنسوخ.

مصنفات القرن الثالث الهجري:

في هذه المرحلة استقلت علوم القرآن والتفسير عن علوم الحديث، ووضع لكل آية مروياتها في التفسير حسب ترتيب المصحف، كما ظهر في هذه المرحلة التأليف في علم واحد من علوم القرآن، فألف: أبو عبيدة معمر بن المثنى: ت: 209 هـ في غريب القرآن ومفرداته، وألف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ) في الناسخ والمنسوخ والقراءات والأشباه والنظائر في القرآن الكريم، وألف علي بن المديني شيخ البخاري (ت: 234هـ) في أسباب النزول، وألف ابن قتيبة في مشكل القرآن وغريبه (12).

مصنفات القرن الرابع الهجري:

ألف النسائي، ت: 303 هـ في فضائل القرآن، وألف محمد بن خلف بن المرزبان ت: 309 هـ: الحاوي في علوم القرآن، وهو أول من ألف بهذا المصطلح، وألف أبو بكر بن مجاهد، ت: 324 هـ كتاب السبعة في القراءات، وألف أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ت: 328 هـ في علوم القرآن، وألف أبو بكر السجستاني، ت: 330 هـ في غريب القرآن، وألف أبو جعفر النحاس، ت: 338 هـ في الناسخ والمنسوخ، وألف الرّماني، ت: 384 هـ في إعجاز القرآن، وألف الخطاب، ت: 388 هـ في إعجاز القرآن.

مصنفات القرن الخامس الهجري:

ألف أبو بكر الباقلاني، ت: 403هـ في إعجاز القرآن، وألف محمد بن سعيد الحوفي، ت: 430هـ: البرهان في تفسير القرآن، وألف أبو الحسن الماوردي، ت: 450هـ في أمثال القرآن، وأبو الحسن الواحدي ت: 468هـ في أسباب النزول، وابن نايقا، ت: 485هـ الجمان في تشبيهات القرآن.

مصنفات القرن السادس الهجري:

ألف الكرمانى، ت: بعد 500هـ البرهان في متشابه القرآن، وألف الراغب الأصفهاني، ت: 502هـ في مفردات القرآن، وألف ابن الباذش ت: 540هـ كتابه الإقناع في القراءات السبع، وألف أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، ت: 581هـ مبهمات القرآن، وألف عبد الرحمن بن الجوزي، ت: 597هـ: فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن.

مصنفات القرن السابع الهجري:

ألف علم الدين السخاوي، ت: 643هـ: جمال القراء وكمال الإقراء، وألف العز بن عبد السلام، ت: 660هـ: مجاز القرآن، وألف ابن أبي الأصبع، ت: 654هـ كتابا سماه: بديع القرآن، وألف محمد بن أبي بكر الرازي، ت: 660هـ أسئلة القرآن وأجوبتها، وألف أبو شامة المقدسي، ت: 665هـ: المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز.

مصنفات القرن الثامن الهجري:

ألف الخراز محمد بن إبراهيم، ت: 718هـ: مورد الظمان في رسم القرآن، وألف أبو العباس أحمد بن تيمية: 728هـ: مقدمة في أصول التفسير، وألف ابن قيم الجوزية، ت: 751هـ في أقسام القرآن، وأمثال القرآن، وألف الطوفي ت: 706هـ الإكسير في علم التفسير، وألف أبو حيان النحوي، ت: 745هـ لغات القرآن، وألف ابن كثير، ت: 774هـ كتابا في فضائل القرآن، وألف بدر الدين الزركشي، ت: 794هـ: البرهان في علوم القرآن.

مصنفات القرن التاسع الهجري:

ألف جلال الدين البلقيني، ت: 824هـ: مواقع العلوم في مواقع النجوم، وألف محمد بن محمد بن الجزري، ت: 833هـ: النشر في القراءات العشر، وطيبة النشر، ومنجد المقرئين، وألف ابن حجر، ت: 852هـ العجاب في بيان الأسباب، وألف الكافيحي، ت: 879هـ: التيسير في قواعد علم التفسير.

مصنفات القرن العاشر الهجري:

ألف جلال الدين السيوطي، ت: 911هـ: مفحمت الأقران في مبهمات القرآن ولباب النقول في أسباب النزول، والإتقان في علوم القرآن، وغيرها، وألف القسطلاني، ت: 923هـ لطائف الإشارات في علم القراءات، وألف زكريا الأنصاري، ت: 926هـ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن.

مصنفات القرن الحادي عشر الهجري:

ألف الإمام ملا علي القاري، ت: 1014هـ: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، وألف مرعي الكرمي، ت: 1033هـ: قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وألف المقري أحمد بن محمد، ت: 1041هـ: إعراب القرآن، وألف ابن البناء، ت: 1117هـ: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر.

مصنفات القرن الثاني عشر الهجري:

ألف عبد الغني النابلسي، ت: 1143 هـ: كفاية المستفيد في علم التجويد، وألف الجمزوري، ت: 1198: تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن.

مصنفات القرن الثالث عشر الهجري:

ألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ت: 1206 هـ: فضائل القرآن.

وألف الدمياطي، ت: 1287 هـ: رسالة في مبادئ التفسير، وألف الهوريني، ت: كان حيا سنة: 1286 هـ: الجوهر

الفريد في رسم القرآن المجيد، وألف ابن حميد العامري، ت: 1295 هـ: الناسخ والمنسوخ.

مصنفات القرن الرابع عشر الهجري:

ألف الشيخ طاهر الجزائري، ت: 1338 هـ: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، وألف الشيخ إبراهيم المارغني،

ت: 1349 هـ: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع، وألف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني،

ت: 1367 هـ: مناهل العرفان في علوم القرآن، وألف الشيخ عبد الرحمن السعدي، ت: 1376 هـ: القواعد الحسان

لتفسير القرآن، وألف عبد الله دراز، ت: 1377 هـ: النبأ العظيم، وألف سيد قطب، ت: 1387 هـ: التصوير الفني في

القرآن، وفي ظلال القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، وألف محمد حسين الذهبي، ت: 1397 هـ: التفسير والمفسرون،

وألف مالك بن نبي، ت: 1393 هـ: الظاهرة القرآنية.

مصنفات القرن الخامس عشر الهجري:

ألف الشيخ محمد محمد أبو شهبه، ت: 1403 هـ: المدخل لدراسة القرآن الكريم، وألف صبحي الصالح، ت:

1406 هـ: مباحث في علوم القرآن، وألف مناع القطان، ت: 1420 هـ: مباحث في علوم القرآن، ونزول القرآن على

سبعة أحرف، وتاريخ التفسير ومناهج المفسرين، وألف الشيخ فضل عباس، ت: 1432 هـ: إتقان البرهان في علوم

القرآن، وإعجاز القرآن الكريم، وغيرها، وألف الشيخ محمد علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، وألف الشيخ غانم

الحمد: محاضرات في علوم القرآن، والميسر في الرسم والضبط، وألف الشيخ خالد السبت: قواعد التفسير، وألف الشيخ

فهد الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، والبديهييات في القرآن الكريم وغيرها، وألف الشيخ مساعد الطيار: المحرر

في علوم القرآن، وغيرها.

أول كتاب في علوم القرآن كفن مستقل:

هو كتاب محمد بن خلف بن المرزبان (ت: 309هـ): الحاوي في علوم القرآن.

المحور الأول:

النزول القرآني:

يتضمن هذا المحور:

أولاً: كيفية النزول القرآني.

ثانياً: أسباب النزول القرآني.

ثالثاً: مكان النزول القرآني.

رابعاً: الأحرف السبعة والقراءات القرآنية.

أولاً: كيفية النزول القرآني:

تعريف الوحي:

الوحي لغة:

قال الزبيدي في تاج العروس: أصل الإيحاء أن يسر بعضهم إلى بعض... وقال أبو إسحق: أصل الوحي في اللغة: إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً.

قال الأزهري: وكذلك الإشارة والإيحاء يسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً... (13).

وقال الراغب الأصبهاني: أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة (14).

فالقول الجامع في معنى الوحي: أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره (15).

ما ورد في القرآن من معنى الوحي لغة:

ورد في القرآن الكريم جملة من أنواع الوحي بالمعنى اللغوي، وبيانها في الآتي:

1. الإلهام الغريزي: كالوحي للحيوان، ومثاله وحي الله للنحل، قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ

رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

2. إلهام الخواطر بما يلقى الله في روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى قال تعالى

في سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا

تَخَافِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

﴿١١١﴾

3. وسوسة الشيطان قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ

وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَنَّ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ ۗ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

(١٣) تاج العروس للزبيدي، 171/40.

(١٤) المفردات، ص 515.

(١٥) الوحي المحمدي ص 81.

4. ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ

أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ
وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾، وقال في سورة النجم: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾⁽¹⁶⁾.

5. الإشارة السريعة بجراحة من الجوارح كإجاء زكريا عليه السلام لقومه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ

فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

6. الأمر الكوني للجمادات قال تعالى في سورة فصلت: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ

سَمَاءٍ أَمْرَهَا... ﴿١٣﴾﴾، وقال في سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾⁽¹⁷⁾.

الوحي شرعا:

من العلماء من عرفه باعتبار الموحى به فقال: كلام الله تعالى المنزل على أحد أنبيائه، وقيل ما أنزله تعالى على

أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم⁽¹⁸⁾.

ومنهم من عرفه بمعنى المصدر فقال: هو إعلام الله لأحد من أنبيائه بحكم شرعي أو نحوه⁽¹⁹⁾.

كيف يوحي الله إلى ملائكته؟

يقول تعالى في سورة الأنفال عن وحيه لملائكته الكرام: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا

الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ

﴿١٢﴾﴾، كما قال تعالى في سورة النجم عن وحيه لرسوله ما أوحاه لجبريل - عليه السلام - : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ

مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - الكيفية التي يوحي بها الله عز وجل للملائكة، روى البخاري في صحيحه

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ

وَسَكَنَ الصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ وَنَادَوْا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ... ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ] (20).

⁽¹⁶⁾ الوحي المحمدي ص 81-82.

⁽¹⁷⁾ دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي ص 193.

⁽¹⁸⁾ الوحي المحمدي ص 82، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبه، ص 79.

⁽¹⁹⁾ ينظر: فتح الباري 3/7، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 79، والوحي المحمدي ص 82، ودراسات في علوم القرآن الكريم، ص 194.

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول : الحق فينادون : الحق الحق (21).

مراتب الوحي (22):

بين الله تعالى طرق تلقي الوحي في سورة الشورى وأنها على ثلاثة مراتب فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾، وبيانها كما يأتي:

المرتبة الأولى : الوحي المجرد: وهو ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه موقنا أنه من الله. والدليل عليه قوله تعالى:

﴿إِلَّا وَحْيًا﴾.

والمراد بالوحي في الآية: الإلهام أو المنام، ومثاله حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، لا يستبطن أحد منكم رزقه، إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا ينال فضله بمعصية. رواه الحاكم في المستدرک⁽²³⁾، وصححه الألباني⁽²⁴⁾.

ومنه كذلك عند بعض أهل العلم رؤى الأنبياء في المنام كرؤيا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى في سورة الصافات:

﴿قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَآتَىٰ بِتِيبٍ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ

الصَّابِرِينَ ۗ﴾.

ومثاله أيضا رؤيا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في بداية البعثة، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. متفق عليه (25). وكانت له الرؤيا بعد ذلك، قال الله تعالى في سورة الفتح: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ

⁽²⁰⁾ صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَفْعُ أَشْفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا بِنِ أَوْكَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۗ﴾ [سبأ: 23]، وليرقل: ماذا خلق ربكم، 4/ 446.

(21) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان، كتاب الوحي، 1/ 224، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(22) ينظر: فتح الباري 1/ 29.

(23) مستدرک الحاكم، كتاب البيوع، 2/ 5-6.

(24) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني 2/ 311.

⁽²⁵⁾ أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، 1/ 5، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، 1/ 139-140.

الرُّبِّيَا بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

فوائد:

الفائدة الأولى: ابتدئ النبي صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصالحة في المنام تهيئة له ليستعد لتلقي الوحي يقظة ودليله ما رواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود قال: إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة (26).

الفائدة الثانية: يرى البعض أن سورة الكوثر نزلت بهذه الطريقة عن طريق المنام وهو غير صحيح، ولو نزلت مناما فلا يخل ذلك بقرآنية سورة الكوثر لأن رؤيا الأنبياء وحي كما قرر ذلك، وهو عليه الصلاة والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه، وقد رأى في منامه الشيء الكثير (27).

قال السيوطي - رحمه الله تعالى - في الإتيان: وأما النومي: فمن أمثله: سورة الكوثر، لما روى مسلم عن أنس قال بينا رسول الله بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: أنزل علي أنفا سورة، فقرأ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر] (28).

وقال الإمام الرافعي في أماليه: فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة وقالوا من الوحي ما كان يأتيه في النوم لأن رؤيا الأنبياء وحي، قال: وهذا صحيح لكن الأشبه أن يقال إن القرآن كله نزل في اليقظة، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة فقرأها عليهم وفسرها لهم، ثم قال: وورد في بعض الروايات أنه أغمى عليه، وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ويقال لها برحاء الوحي. انتهى.

قلت: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه والتأويل الأخير أصح من الأول لأن قوله أنزل علي أنفا يدفع كونها نزلت قبل ذلك بل نقول نزلت في تلك الحالة وليس الإغفاءة إغفاءة نوم بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا (29).

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة، والدليل على هذه المرتبة قول الله تعالى: ﴿...أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ...﴾ (٥١) ويكون يقظة، ومثاله: تكليم الله لآدم - عليه السلام - قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَنَلَقَيْنَا﴾

(26) فتح الباري 14/1.

(27) المحرر في علوم القرآن ص 66.

(28) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، 65/1.

(29) الإتيان 65-66/1.

ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾، ومثاله أيضا تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام، قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾. وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿...وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴿١٤٣﴾﴾، وقال تعالى عن موسى - عليه السلام - أيضا كما في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

ومن أمثله كذلك: تكليم الله تعالى لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة الصحيحة كما في صحيح مسلم وغيره، قال صلى الله عليه وسلم: فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة⁽³⁰⁾.

والسلف والمحققون من العلماء على أن موسى - عليه السلام - وغيره من الأنبياء كنبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - قد سمع كلام الله حقيقة لا مجازا، والواجب علينا أن نؤمن بما ورد من صفة الكلام في القرآن والسنة الصحيحة من غير تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل⁽³¹⁾.

ويكون مناما: ومثاله: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: أتاني ربي في أحسن صورة فقال يا محمد قلت لبيك ربي وسعديك قال فيم يختصم الملائة الأعلى؟ قلت: ربي لا أدري، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد، فقلت: لبيك رب وسعديك، قال: فيم يختصم الملائة الأعلى؟ قلت: في الدرجات والكفارات، وفي نقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن يحافظ عليهن عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه.... والحديث رواه الترمذي في سننه وحسنه⁽³²⁾.

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو ما يعرف بالوحي الجلي.

والدليل عليه قول الله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ... ﴿٥١﴾﴾.

ومثاله: نزول جبريل - عليه السلام - بالوحي من الله على الأنبياء والمرسلين.

وقد نزل القرآن الكريم كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، وبلغه جبريل

لمحمد - صلى الله عليه وسلم - . قال تعالى في سورة النحل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ... ﴿١٠٢﴾﴾.

⁽³⁰⁾ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السماوات، وفرض الصلوات، 145/1-146.

⁽³¹⁾ المدخل محمد أبو شهبة ص 79.

⁽³²⁾ سنن الترمذي، 443/5-444.

وقال تعالى أيضا في سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ .

صور تبليغ جبريل الوحي لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - :

ورد في السنة الصحيحة الكيفية التي نزل بها الوحي وحال النبي صلى الله عليه وسلم عندها، قال البخاري في صحيحه: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام - رضي الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده علي - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول.

قالت عائشة - رضي الله عنها - : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد

عرقا⁽³³⁾.

من خلال هذا الحديث يتبين لنا أن هناك كيفيتين لنزول الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهما:

الكيفية الأولى: مثل صلصلة الجرس:

قال الإمام ابن حجر: والصلصلة... في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له

طنين... والجرس: الجللجل الذي يعلق على رؤوس الدواب⁽³⁴⁾.

وهذه الكيفية كما بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أشدها عليه.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني أيضا: يفهم منه أن الوحي كله شديد، ولكن هذه الصفة أشدها وهو واضح

لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود، والحكمة فيه أن العادة جرت

بالمناسبة بين القائل والسماع، وهي هنا إما: باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية، وهو النوع الأول، وإما

باتصاف القائل بوصف السامع، وهو البشرية وهو النوع الثاني، والأول أشد بلا شك، وقال شيخنا شيخ الإسلام

البُلُقيني: سبب ذلك: أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به كما سيأتي في حديث ابن عباس كان

يعالج من التنزيل شدة، قال: وقال بعضهم: وإنما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع، وقيل: إنه إنما

كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد وهذا فيه نظر والظاهر أنه لا يختص بالقرآن كما سيأتي بيانه في حديث

يعلى بن أمية في قصة لابس الجبة المتضمخ بالطيب في الحج، فإن فيه أنه رآه صلى الله عليه وسلم حال نزول الوحي

عليه، وإنه ليغط، وفائدة هذه الشدة: ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى والدرجات⁽³⁵⁾.

⁽³³⁾ صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، 5/1.

⁽³⁴⁾ فتح الباري 30/1.

⁽³⁵⁾ فتح الباري 30/1-31.

ما يحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب هذه الكيفية:

لما كانت هذه الكيفية أشد الكيفيات في نزول الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تحصل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمور منها:

أولاً: يحس - بأبي هو وأمي - بفيضان روحه وقبضها:

ودليل ذلك: ما رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قَالَ: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:- نعم أسمع صلصل، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تفيض⁽³⁶⁾.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - كما في مجمع الزوائد، قال: سألت النبي صلى الله عليه و سلم فقلت : يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال: نعم أسمع صلصلة ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض. قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، وإسناده حسن⁽³⁷⁾.

ثانياً: تصبب العرق منه - صلى الله عليه وسلم -:

ودليله: ما أخرجه البخاري في صحيحه من قول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: ولقد رأيتَه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً⁽³⁸⁾.

وكذلك ما أخرجه الهيثمي في المجمع عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته بُرحاء شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان⁽³⁹⁾ ثم سري⁽⁴⁰⁾ عنه⁽⁴¹⁾.

ثالثاً: الثقل الذي كان يجده في بدنه صلى الله عليه وسلم وتأثير ذلك على ناقته وتفصد جبينه بالعرق في الليلة الشتائية شديدة البرد، وما حكاه زيد بن ثابت من قرب انكسار رجله وهو يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

ودليله ما عند البيهقي في الدلائل: عن عائشة أنها قالت إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فتضرب على جرائها من ثقل ما يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان جبينه ليطف بالعرق في اليوم الشاتي إذ أوحى الله إليه⁽⁴²⁾.

⁽³⁶⁾ أحمد في مسنده 484/6.

⁽³⁷⁾ مجمع الزوائد للهيثمي، كتاب علامات النبوة، 328-327/8.

⁽³⁸⁾ صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، 5/1.

⁽³⁹⁾ هي حبات الفضة. ينظر: لسان العرب، 92/13.

⁽⁴⁰⁾ بصيغة المجهول من التسرية، وهو الكشف والإزالة أي كشف عنه وأزيل ما اعتراه من برحاء الوحي وشدته. ينظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، 13/7.

⁽⁴¹⁾ مجمع الزوائد 204/1.

وروى الهيثمي في المجمع: عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقا شديدا مثل الجمال، ثم سُرِّي عنه، فكنت أدخل بقطعة العسب أو كسرة فأكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن، حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبدا. فإذا فرغت قال: اقرأه. فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس. قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات⁽⁴³⁾.

رابعا: الغطيظ والغيبة والغشية وتغير اللون الذي كان يقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوحي: ودليله ما أخرجه البخاري في صحيحه: عن عطاء أن صفوان بن يعلى أخبره أن يعلى قال لعمر - رضي الله عنه -: أرني النبي - صلى الله عليه وسلم - حين يوحى إليه. قال فبينما النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة، ومعه نفر من أصحابه، جاءه رجل فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة، وهو متضمخ بطيب؟ فسكت النبي - صلى الله عليه وسلم - ساعة، فجاءه الوحي، فأشار عمر - رضي الله عنه - إلى يعلى فجاء يعلى، وعلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثوب قد أظلم به، فأدخل رأسه فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محمَّر الوجه، وهو يغطُّ، ثم سُرِّي عنه، فقال: أين الذي سأل عن العمرة؟ فأتي بالرجل فقال: اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات، وانزع عنك الجبَّة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك. قلت لعطاء: أراد الإنقاء حين أمره أن يغسل ثلاث مرات؟ قال نعم⁽⁴⁴⁾.

خامسا: سماع الصوت مثل الصلصلة ودوي النحل: أخرج أحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: كان إذا نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوحي يسمع عند وجهه دويّ كدويّ النحل⁽⁴⁵⁾.

الكيفية الثانية: أن يتمثل له الملك رجلا:

ودليله ما مر معنى من حديث البخاري: عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام - رضي الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده علي - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول.

قالت عائشة - رضي الله عنها -: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد

عرقا⁽⁴⁶⁾.

⁽⁴²⁾ دلائل النبوة للبيهقي، 53/7.

⁽⁴³⁾ مجمع الزوائد، 204/1.

⁽⁴⁴⁾ صحيح البخاري، 391/1.

⁽⁴⁵⁾ أحمد في المسند، 265-264/1.

⁽⁴⁶⁾ صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، 5/1.

نزول جبريل على هيئة أعرابي:

ودليله ما ورد في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، قال: ففجئنا له يسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربثها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: يا عمر: أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم⁽⁴⁷⁾.

قال الحافظ ابن حجر: والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا، بل معناه: أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه، والظاهر أيضا أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى، بل يخفى على الرائي فقط، والله أعلم.

نزول جبريل على هيئة دحية الكلبي:

وفي ذلك ثلاثة أحاديث:

الأول: أخرج مسلم في صحيحه عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: عرض عليّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم - عليه السلام - فإذا أقرب من رأيت به شبهة عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم - صلوات الله عليه - فإذا أقرب من رأيت به شبهة صاحبكم، يعني نفسه، ورأيت جبريل - عليه السلام - فإذا أقرب من رأيت به شبهة دحية.

وفي رواية ابن رمح: دحية بن خليفة⁽⁴⁸⁾.

الثاني: أخرج مسلم في صحيحه عن معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي حدثنا أبو عثمان عن سلمان قال: لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رأيتة، قال: وأنبت أن جبريل - عليه السلام - أتى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده أم سلمة، قال: فجعل يتحدث، ثم قام، فقال نبي الله - صلى الله عليه وسلم - لأم سلمة: من هذا؟ أو كما قال، قالت: هذا دحية، قال: فقالت أم سلمة: أيم الله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يخبر خبرنا أو كما قال، قال: فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا قال من أسامة بن زيد⁽⁴⁹⁾.

الثالث: أخرج النسائي في سننه في كتاب: صِفَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ عن أبي هريرة وأبي ذر، قالوا: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبينما له دكانا من طين، كان يجلس عليه، وإنما لجلوس ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مجلسه، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجها، وأطيب الناس ريحا، كأن ثيابه لم يمسه دنس، حتى سلم في طرف البساط فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام، قال: أدنو يا محمد؟ قال: ادنه، فما زال يقول: أدنو مرارا، ويقول له: ادن حتى وضع يده على ركبتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: يا محمد: أخبرني ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، قال: إذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: نعم، قال: صدقت. فلما سمعنا قول الرجل صدقت أنكروا، قال: يا محمد: أخبرني ما الإيمان؟ قال: الإيمان بالله، وملائكته، والكتب، والنبين، وتؤمن بالقدر قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: نعم، قال: صدقت. قال: يا محمد: أخبرني ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: صدقت. قال: يا محمد: أخبرني متى الساعة؟ قال: فنكس فلم يجبه شيئا، ثم أعاد، فلم يجبه شيئا، ورفع رأسه فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها علامات تعرف بها، إذا رأيت الرعاء البهم يتناولون في البنيان، ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض،

⁽⁴⁸⁾ صحيح مسلم، 153/1.

⁽⁴⁹⁾ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة أم المؤمنين - رضي الله عنها -، 1906/4.

ورأيت المرأة تلد ربها، خمس لا يعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤) [لقمان]، ثم قال: لا والذي بعث محمدا بالحق هدى وبشيرا، ما كنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل - عليه السلام - نزل في صورة دحية الكلبي⁽⁵⁰⁾.

كتاب الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم -:

ذكر ابن كثير جملة من كتاب الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم - من جملتهم: الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وأبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري، وأرقم بن أبي الأرقم، واسمه عبد مناف بن أسد بن جندب، وثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وزيد بن ثابت، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، أخو عثمان لأمه من الرضاعة، والعلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عباد، وشريح بن الحضرمي، ومحمد بن مسلمة بن جريس بن خالد بن عدي⁽⁵¹⁾.

مدة نزول القرآن: اختلف العلماء في ذلك على أقوال على اختلافهم في مدة إقامة النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة⁽⁵²⁾، وبيان هذه الأقوال كما يأتي:

القول الأول: عشرون سنة، روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، وليس بالآدم، وليس بالجعد القلط ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، فتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. وأخرج الحاكم في المستدرك عن سعيد بن المسيب قال: أنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وأربعين⁽⁵³⁾.

القول الثاني: خمس وعشرون سنة.

القول الثالث: ثلاث وعشرون سنة⁽⁵⁴⁾: وهو الصحيح.

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نبي على رأس الأربعين، ومات في سن الثالثة والستين، وقد روى الترمذي في سننه وقال: حديث حسن صحيح، عن ثابت عن أنس - رضي الله عنه - قال خدمت النبي - صلى الله عليه وسلم

⁽⁵⁰⁾ سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرايعه، باب صفة الإيمان والإسلام، 475/8.

⁽⁵¹⁾ ينظر: البداية والنهاية، 356-321/8.

⁽⁵²⁾ ينظر: المرشد الوجيز، ص 29.

⁽⁵³⁾ المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، 717/2، وتعبه الذهبي، وحكم المحافظ ابن حجر بشذوذه. ينظر: فتح الباري، 265/7.

⁽⁵⁴⁾ ينظر: الإتقان للسيوطي، 116/1.

- عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته، لم صنعته؟ ولا لشيء تركته، لم تركته؟ وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أحسن الناس خلقا، ولا مسست خزا قط، ولا حريرا، ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا شممت مسكا قط، ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(55)

فيكون مكوثه بمكة ثلاث عشرة سنة هي فترة نزول القرآن المكي، يضاف إليها مدة مكوثه بالمدينة، وهي العشر سنوات التي حكاها أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

وقد حسم عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - حبر الأمة وترجمان القرآن المسألة، فقد روى البخاري في صحيحه عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن أربعين، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم⁽⁵⁶⁾.

وأما ما رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة⁽⁵⁷⁾.

فمحمول على عدم احتساب الكسر⁽⁵⁸⁾.

عدد نزولات الوحي:

للقرآن الكريم نزولان هما:

أولاً: نزوله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

ثانياً: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض على النبي - صلى الله عليه وسلم -.

النزول الأول: نزوله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا:

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا على أقوال ثلاثة هي:

القول الأول: أنه نزل جملة ليلة القدر.

وهو أصحها وأشهرها.

أدلة هذا القول:

(55) سنن الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي - صلى الله عليه وسلم -، 4/110-111.

(56) صحيح البخاري، 46/3.

(57) المستدرک، 266/2.

(58) ينظر: فتح الباري، 265/7.

1. قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ... ﴾ (١٨٥) [البقرة: 185]، وقال الله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (٢) [الدخان: 3]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

الْقَدْرِ ﴾ (١) [القدر: 1].

2. أخرج الحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أنزل

القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم⁽⁵⁹⁾، وكان الله ينزله على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعضه في أثر بعض⁽⁶⁰⁾.

3. وأخرج الحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: فصل القرآن من

الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل - عليه السلام - ينزله على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويرتله ترتيباً⁽⁶¹⁾.

القول الثاني: أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين،

في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة:

وهو قول: مقاتل بن سليمان، والحليمي، والماوردي.

القول الثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل منجماً في أوقات مختلفة: وهو قول التابعي

الجليل: عامر بن شراحيل الشعبي - رحمه الله تعالى -⁽⁶²⁾.

الحكمة من إنزاله جملة إلى السماء الدنيا:

من الحكم الواردة في ذلك:

1. تعظيم شأن القرآن الكريم.

2. تعظيم أمر من نزل عليه القرآن، وهو النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -.

3. إعلام سكان السماوات السبع بنزول آخر الكتب على خاتم الرسل.

4. تعظيم شأن الأمة التي سينزل عليها القرآن الكريم، وهي أمة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -.

5. تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة.

⁽⁵⁹⁾ أي: على مثل مساقطها. ينظر: الإتيان، 117/1.

⁽⁶⁰⁾ المستدرک، کتاب التفسیر، 266/2.

⁽⁶¹⁾ المستدرک، کتاب التفسیر، 267/2.

⁽⁶²⁾ الإتيان، 118/1.

6. بيان تفضيل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - على موسى - عليه السلام - حيث تساوى مع

نبينا - صلى الله عليه وسلم - في الإنزال الجملي، وفضل نبينا بالإنزال المنجم⁽⁶³⁾.

وقت هذا الإنزال:

اختلف في وقت هذا النزول: هل هو قبل مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - أو بعده؟

قال أبو شامة في المرشد الوجيز: الظاهر أنه قبلها، وكلاهما محتمل⁽⁶⁴⁾.

ويدل لذلك ظواهر النصوص السابقة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

النزول الثاني: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض على النبي - صلى الله عليه وسلم -:

وكان ذلك في ثلاث وعشرين سنة على الصحيح.

أدلة هذا النزول:

من الأدلة على نزول القرآن منجماً:

1. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

تَرْتِيلاً ﴿٣٣﴾ [الفرقان: 32].

سبب نزول الآية: أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره⁽⁶⁵⁾ بإسناد حسن، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال

المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبيا فلم يعذبه ربه، ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة؟ ينزل عليه الآية والآيتين

والسورة، فانزل الله على نبيه جواب ما قالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ إلى: ﴿وَأَضَلُّ

سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾⁽⁶⁶⁾.

2. وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: 106].

قال ابن جزري: قيل: معناه على تمهل وترتيل في قراءته، وقيل: على طول مدة نزوله شيئاً فشيئاً من حين بعث النبي

صلى الله عليه وسلم إلى وفاته، وذلك عشرون سنة، وقيل ثلاث وعشرون⁽⁶⁷⁾.

3. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: 33].

⁽⁶³⁾ ينظر: الإتيان في علوم القرآن، 1/119.

⁽⁶⁴⁾ المرشد الوجيز لأبي شامة، ص 25.

⁽⁶⁵⁾ تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، 8/2689.

⁽⁶⁶⁾ ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، لسليم الهلالي، ومحمد آل نصر، 3/15.

⁽⁶⁷⁾ التسهيل لابن جزري، 1/456.

قال القرطبي: يقول: لو أنزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوك، لم يكن عندك ما تجيب به، ولكن نمسك عليك فإذا سألوك أجبت⁽⁶⁸⁾.

4. ما رواه البخاري في صحيحه عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن أربعين، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم⁽⁶⁹⁾.

5. الآيات التي نزلت مفردة: مثل: ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ...﴾ [النساء: 95].

روى البخاري في صحيحه عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء - رضي الله عنه - يقول: لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيدا فجاء بكتف فكتبها، وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾⁽⁷⁰⁾.

الحكمة من إنزاله منجما:

ذكر العلماء حكما عديدة منها:

أولا: تثبيت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم - قال الإمام أبو شامة في المرشد الوجيز: فإن قيل ما السر في نزوله منجما وهلا نزل كسائر الكتب جملة؟ قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ يعنون: كما أنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم تعالى بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أنزلناه كذلك مفرقا، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي: لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتحدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتحدد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام عليه فيه⁽⁷¹⁾.

مظاهر التثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم:

من هذه المظاهر:

⁽⁶⁸⁾ الجامع لأحكام القرآن، 407/15.

⁽⁶⁹⁾ صحيح البخاري، 46/3.

⁽⁷⁰⁾ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: لا يستوي القاعدون من المؤمنين والجاهدون في سبيل الله، 212/3.

⁽⁷¹⁾ المرشد الوجيز، ص 28.

1. سرد قصص النبيين عليه: وذلك بين الفينة والأخرى، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا

تَثَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ [هود: 120]، وقد حكا الله تبارك وتعالى له ما حدث لهم مع أقوامهم من التكذيب والعناد والاستكبار، ثم يدعوهم للصبر كما صبروا، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأُمْرُسَلِينَ ﴿٣٤﴾ [الأنعام: 34]، وقال تعالى له كما في سورة الأحقاف: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحقاف: 35]، وذلك أن قومه آذوه، ثم ثبت فؤاده عند المحن والشدائد فيمتن عليه ربه بقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ [الإسراء: 74]، ويقويه تارة أخرى قائلاً له أن الصبر لا يكون إلا بالله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ [النحل: 127].

2. وعده بالحماية: وذلك أن قومه أرادوا قتله مرات عديدة، فوعده الله بحمايته، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ

مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ [المائدة: 67].

3. أمره بعدم الأسى على كفر قومه: فهو عليه الصلاة والسلام يحزن ويأخذه الأسى عليهم بسبب إعراض قومه

عن دعوة الحق، فيصبره ربه ويسلي عنه بقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِن لَّمْ يَضِلُّ مِن يَشَاءُ وَيَهْدِي مِن يَشَاءُ فَلَا نُدَبِّبُ نَفْسًا عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ [فاطر: 8]، ويوضح له المهمة

التي كُلف بها، وأنه مرشد لا مصيطر، يملك هداية البيان لا هداية التوفيق، قال تعالى: ﴿فَذَكَرْنَاكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ [الغاشية: 21 - 22]، وقال تعالى أيضا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ [القصص: 56].

4. وعده بالنصر على أعدائه: وأن دعوته هي الغالبة، وأن أمره هو الظاهر، وأن الله لن يتخلى عنه، وسينصره كما

نصر رسله من قبل، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ [المجادلة: 21]،

وقال تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝٣﴾ [الفتح: 3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١﴾ [غافر: 51]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ ۝٤٥﴾

﴿[القمر: 45].

ثانيا: تثبيت أفئدة المؤمنين: تنزل الآيات تصبرهم وتثبت أفئدتهم، تحكي قصص النبيين مرة، وتعد بالنصر مرة أخرى، وتحض بذكر الثواب مرات عديدة.

ثالثا: تيسير حفظه وفهمه وتدبره على المؤمنين:

وهذا ما دلت عليه الآية الكريمة في سورة الإسراء: ﴿وَقَرَأْنَا أَنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ۝١٠٦﴾

﴿[الإسراء: 106]، فلو نزل جملة صعب عليهم ذلك.

رابعا: نزوله حسب الدواعي: كسؤال يطرح على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجد له جوابا، أو حادثة تحدث بين الله تعالى له فيها حكما، أو غير ذلك.

ومن أمثلته:

1. روى البخاري في صحيحه عن علقمة عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: بينا أنا أمشي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في حرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه، فقلت فلما انجلي عنه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: 85] (72).

2. الآيات النازلة في حادثة الإفك، والآيات النازلة في الظهر، واللعان، وغيرها.

خامسا: التدرج في هدم ما بقي في نفوس المؤمنين من آثار عاداتهم وعقائدهم قبل الإسلام، والتدرج في

غرس العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والتكاليف الشرعية في نفوس المسلمين (73).

(72) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: 85]، 45/1.

(73) ينظر: هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي عناية، 107/1-153، ومحاضرات في علوم القرآن، فضل حسن عباس، ص 92-93.

ثانيا: أسباب النزول القرآني:

كانت الكتب السابقة قد نزلت جملة واحدة، ونزل القرآن الكريم مفرقا عبر السنين، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: 32]. وكانت الآيات النازلة تنزل ولها سبب لنزولها وكثير منها ينزل دون سبب بل يكون ابتداء، قال الجعبري: نزول القرآن على قسمين قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة، أو سؤال⁽⁷⁴⁾.

تعريف سبب النزول:

السبب لغة:

الموصل للشيء. جاء في لسان العرب: السَّبَب وهو الحبل الذي يُتَوَصَّلُ به إلى الماء، ثم استُعير لكل ما يُتَوَصَّلُ به إلى شيء⁽⁷⁵⁾.

النزول لغة:

الانحطاط من علو. جاء في لسان العرب: ونَزَلَ من عَلُوٍّ إلى سُفْلٍ: انْحَدَرَ⁽⁷⁶⁾.

اصطلاحاً: كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه⁽⁷⁷⁾.

المؤلفات في سبب النزول:

المؤلفات في هذا الفن كثيرة نذكر منها:

1. أسباب نزول القرآن: علي بن أحمد الواحدي، ت: 468 هـ، وهو مطبوع.

2. عجائب النقول في أسباب النزول: إبراهيم بن عمر الجعبري، ت: 732 هـ، والكتاب مطبوع.

3. العجائب في بيان الأسباب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: 852 هـ، وهو من أحسن ما ألف في

هذا العلم، وهو غير مكتمل، وآخر آية ذكر سبب نزولها: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهْمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهْمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 48].

انتهى عند هذه الآية تأليف سنة: 889 هـ، والكتاب مطبوع.

⁽⁷⁴⁾ الإتيان، 82/1.

⁽⁷⁵⁾ لسان العرب، 459/1.

⁽⁷⁶⁾ لسان العرب، 657/11.

⁽⁷⁷⁾ ينظر: الإتيان، 90/1.

4. **باب النقول في أسباب النزول:** لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ت: 911 هـ، والكتاب مطبوع، اشتمل

على كتاب الواحدي وزيادة.

فوائد معرفة هذا العلم:

روى سعيد بن منصور في سننه، وسنده كما قال محقق الكتاب: صحيح لغيره: عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ذات يوم يحدث نفسه، فأرسل إلى ابن عباس فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحداً، وكتابتها واحد وقبيلتها؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين: إنا أنزل علينا القرآن، فقرأناه، وعلمنا فيم أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن، ولا يعرفون فيم نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، فزبره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس، ثم دعاه بعد فعرف الذي قال، ثم قال: إيه أعد علي⁽⁷⁸⁾.

من هذا الأثر يتبين لنا القيمة الكبيرة لهذا العلم، وعظيم فائدته.

من فوائد هذا العلم:

الفائدة الأولى: الوقوف على المعنى الصحيح وإزالة الإشكال:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب؛ ولهذا كان أصح قول الفقهاء: أنه إذا لم يعرف ما نواه الخالف رجع إلى سبب يمينه، وما هيجه وأثارها⁽⁷⁹⁾.

ومثاله: ما رواه البخاري وغيره عن ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره: أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لعن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا، لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: وما لكم ولهذا، إنما دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: 188-189]⁽⁸⁰⁾.

الفائدة الثانية: دفع توهم الحصر:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ^c فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145] قال الشافعي ما معناه: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على

⁽⁷⁸⁾ سنن سعيد بن منصور، كتاب فضائل القرآن، 176/1.

⁽⁷⁹⁾ مجموع الفتاوى، 339/13.

⁽⁸⁰⁾ رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُونَ بِمَا أُوتُوا﴾، 205/3.

المضادة والمحاددة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه نازلاً من نزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض: المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل. قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية⁽⁸¹⁾.

الفائدة الثالثة: معرفة الحكمة الباعثة على تشريع الأحكام الشرعية ومسايرته للحوادث الواقعة:

لقد سائر القرآن الكريم الحوادث والوقائع التي كانت تحدث في مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم، فما من أمر إلا وينزل بيانه وعلاجه.

ومعرفة الأسباب التي اقتضت بنزول الآيات يدلنا على حكم التشريع، فرب العباد لم يترك الناس هملاً، وإنما أنزل عليهم ما يضبطون به حياتهم.

ومن أمثلة ذلك: حكمة تحريم الخمر، والتدرج بالناس شيئاً فشيئاً، نزع من القلوب فسهل إراقتهم بعد ذلك، وكذا اللعان والظهار وغيرها كثير⁽⁸²⁾.

مصادر أسباب النزول:

ويقصد بذلك المصنفات والكتب التي تحوي مرويات أسباب النزول، وهي:

أولاً: كتب السنة: كموطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربعة، ومسنند الإمام أحمد، وسنن الدارمي.

ثانياً: كتب التفسير: كتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير الطبري، وتفسير الثعلبي، والبغوي، وابن كثير، والدر المنثور للسيوطي.

ثالثاً: كتب أسباب النزول: كأسباب النزول للواحدي، ولباب النقول للسيوطي، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، وغيرهم.

ما يعتمد عليه في معرفة سبب النزول:

يعتمد في معرفة أسباب النزول على:

1. الرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
2. الرواية الصحيحة عن أحد أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -.

⁽⁸¹⁾ الإتيان، 84/1.

⁽⁸²⁾ ينظر: الخمر للطيار، ص 136.

ومثالها: ما رواه البخاري⁽⁸³⁾ وغيره عن أبي مسعود قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء أبو عقيل بنصف صاع

وجاء إنسان بأكثر منه فقال المنافقون إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الآخر إلا رثاء فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾ ﴿٧٩﴾

[التوبة: 79] الآية.

قال الواحدي: لا يجلُّ القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها، وجدوا في الطلاب.

وعن محمد بن سيرين، قال: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سدادا؛ ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن⁽⁸⁴⁾.

3. وزاد السيوطي قول التابعي في سبب النزول إذا صح السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة، قال في الإتيان: ما تقدم أنه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضا لكنه مرسل فقد يقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك⁽⁸⁵⁾.

قواعد الترجيح في مرويات أسباب النزول:

كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعددة، والسبب المعتمد في ذلك يختلف باختلاف الحالة المذكورة، ولهم في ذلك ألوان من الترجيح هي:

أولا: الترجيح بالصحة:

إذا ذكر سبب مع سبب آخر غيره للآية الواحدة فإن كان إسناد أحدهما صحيحا دون الآخر فالصحيح هو المعتمد. مثاله: الخلاف الوارد في سبب نزول فاتحة سورة الضحى:

السبب الأول: ما أخرجه البخاري وغيره عن جندب قال: اشتكى النبي فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا

محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضحى: 1 - 3]⁽⁸⁶⁾.

السبب الثاني: ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير عن حفص بن سعيد القرشي، حدثني أمي، عن أمها، وكانت خادما رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن جروا دخل البيت، ودخل تحت السرير، ومات فمكث نبي الله صلى الله عليه

⁽⁸³⁾ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، 233/3.

⁽⁸⁴⁾ أسباب النزول، ص 8، 9.

⁽⁸⁵⁾ الإتيان، 91/1.

⁽⁸⁶⁾ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، 342/3.

وسلم، أياما لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة: ما حدث في بيت رسول الله؟ جبريل لا يأتيني فهل حدث في بيت رسول الله حدث؟ فقلت: والله ما أتى علينا يوم خير من يومنا، فأخذ برده فلبسه وخرج، فقلت: لو هيأت البيت، وكنته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير، فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا بجرو ميت، فأخذته بيدي، فألقيته خلف الدار، فجاء نبي الله ترعد لحية، وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة، فقال: يا خولة، دثريني فأنزل الله: ﴿

وَالصُّحْحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: 1 - 3].

قال ابن حجر: ووجدت الآن في الطبراني بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها: وجود جرو كلب تحت سريره صلى الله عليه وسلم لم يشعر به، فأبطأ عنه جبريل لذلك، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح، والله أعلم⁽⁸⁷⁾.

ثانيا: الترجيح بكون الراوي حضر القصة:

المباشر للقصة يقدم على الأجنبي لأنه أحق بالمعرفة من غيره غالبا.

في سنن الترمذي: عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبني بها وهو حلال، وكنت أنا الرسول فيما بينهما. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن⁽⁸⁸⁾.

وفي صحيح البخاري وغيره قال: حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، حدثنا الأوزاعي، حدثني عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوج ميمونة وهو محرم⁽⁸⁹⁾. فأبو رافع حضر القصة فقدم قوله على غيره.

والأمر نفسه يقال في تعدد أسباب النزول: إذا استوى إسنادان في الصحة فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة.

مثاله: الخلاف الوارد في سبب نزول قول الله تعالى: ﴿

مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء: 85] من حيث مكان النزول.

السبب الأول:

ما رواه البخاري في صحيحه عن علقمة، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: سلوه، عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه،

⁽⁸⁷⁾ فتح الباري، 727/9.

⁽⁸⁸⁾ سنن الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، باب ما جاء في كراهية تزويج الحرم، 363/2-364.

⁽⁸⁹⁾ صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب تزويج الحرم، 22/2.

فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلًا﴾ (٨٥) (٩٠).

فسبب النزول كان بالمدينة.

(٩٠) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَكُمْ عَنْهَا﴾، 4/401.

السبب الثاني:

ما رواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسأله فنزلت: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

﴿٨٥﴾ (٩١).

فسبب النزول كان بمكة.

قال السيوطي: وقد رجح بأن ما رواه البخاري أصح من غيره وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة^(٩٢).

ثالثاً: الترجيح بدلالة السياق:

من قواعد الترجيح عند اختلاف روايات أسباب النزول دلالة السياق.

مثاله: الخلاف في الآية سبب نزول حادثة شِراج الحرة، هل هي قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِء وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ [النساء: 60]، أو قول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ... ﴿٦٥﴾ [النساء: 65].

السبب الأول:

روى البخاري وغيره عن عروة عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - أنه حدثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبي عليه، فاختصما عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للزبير: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم قال: اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، فقال: الزبير والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ... ﴿٦٥﴾ [النساء: 65] ﴿٩٣﴾.

السبب الثاني:

قال الطبري في تفسيره: حدثني محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في

قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا

^(٩١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب العلم، 301/1.

^(٩٢) الإتيان، 94/1.

^(٩٣) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، 150/2.

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء: 65] قال: هذا الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذان تحاكما إلى كعب بن الأشرف.

قال الطبري: وهذا القول, أعني قول من قال: عني به المحتكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: 60] أولى بالصواب, لأن قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء: 65] في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ﴾, ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم, فالحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى⁽⁹⁴⁾.

رابعاً: الترجيح بدلالة الوقائع التاريخية:

وذلك مثل قول الرافضة إن سورة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1] نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين.

وردّه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: فإن سورة هل أتى مكية باتفاق العلماء، وعلي إنما تزوج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة، ولم يدخل بها إلا بعد غزوة بدر، وولد له الحسن في السنة الثالثة من الهجرة، والحسين في السنة الرابعة من الهجرة، بعد نزول هل أتى بسنين كثيرة، فقول القائل: إنها نزلت فيهم، من الكذب الذي لا يخفى على من له علم بنزول القرآن، وعلم بأحوال هؤلاء السادة الأخيار⁽⁹⁵⁾.

ثالثا: مكان النزول القرآني:

تعريف المكي والمدني:

اختلف العلماء في تحديد المكي والمدني على ثلاثة اصطلاحات هي:

الاصطلاح الزمني: أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار، واختاره ابن عطية⁽⁹⁶⁾ والزركشي⁽⁹⁷⁾، وابن كثير⁽⁹⁸⁾، والبقاعي⁽⁹⁹⁾، والسيوطي⁽¹⁰⁰⁾، وابن حجر⁽¹⁰¹⁾، وابن عاشور⁽¹⁰²⁾، والزرقاني⁽¹⁰³⁾.

واعتبر هذا الفريق الهجرة فيصلا في المسألة.

دليل هذا الرأي:

1. عمل الصحابة ومن بعدهم بهذا، حيث عدوا من المدني سورة الفتح التي نزلت عليه - صلى الله عليه وسلم -، وهو عائد من صلح الحديبية، وسورة المنافقون التي نزلت عليه - صلى الله عليه وسلم - وهو في غزوة بني المصطلق⁽¹⁰⁴⁾.

2. قول الإمام المفسر المقرئ: يحيى بن سلام البصري، ت: 200 هـ:

أخرج الإمام الداني بسنده إلى يحيى بن سلام قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي المدينة فهو

من المكي وما نزل على النبي في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني، وما كان من القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدني، وما كان ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فمنه مكي ومدني، وأكثره مكي⁽¹⁰⁵⁾.

قال السيوطي رحمه الله تعالى: وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحا⁽¹⁰⁶⁾.

وقد عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ [النساء: 58] مدنيا مع أنه نزل بمكة عام الفتح في جوف الكعبة.

⁽⁹⁶⁾ المحرر الوجيز، 2/143.

⁽⁹⁷⁾ البرهان، 1/274.

⁽⁹⁸⁾ فضائل القرآن، ص 5.

⁽⁹⁹⁾ مصاعد النظر، 1/65.

⁽¹⁰⁰⁾ الإتيقان، 1/23.

⁽¹⁰¹⁾ قال في فتح الباري: ولكن الاصطلاح أن كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي وما نزل بعد الهجرة فهو مدني سواء نزل في البلد حال الإقامة أو في غيرها حال السفر. فتح الباري:

5/10-6. وقال أيضا: بل الأرجح أن جميع ما نزل بعد الهجرة معدود من المدني. ينظر: فتح الباري 10/49.

⁽¹⁰²⁾ التحرير والتنوير، 26/119.

⁽¹⁰³⁾ مناهل العرفان، 1/160.

⁽¹⁰⁴⁾ ينظر ترجيحات الزركشي في علوم القرآن، ص 141-142.

⁽¹⁰⁵⁾ البيان في عد آي القرآن، ص 132.

⁽¹⁰⁶⁾ الإتيقان للسيوطي، 1/23.

قال ابن حجر: نزلت بمكة اتفاقاً في قصة مفتاح الكعبة⁽¹⁰⁷⁾.

قال ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة... وقال محمد بن إسحاق في غزوة الفتح: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرهما بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد.

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى، فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج. وذكر بقية الحديث في خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - يومئذ، إلى أن قال: ثم جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له، فقال له: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر⁽¹⁰⁸⁾.

الاصطلاح المكاني: فالمكي: ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني: ما نزل بالمدينة.

قال السيوطي: وعلى هذا تثبت الوساطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني⁽¹⁰⁹⁾.

ومن أخذ بهذا الاصطلاح الماوردي في النكت والعيون⁽¹¹⁰⁾.

قال السيوطي: ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزلة بمكة وعرفات والحديبية وفي المدينة ضواحيها كالمُنزَل ببدر وأحد

وسَلَع⁽¹¹¹⁾.

⁽¹⁰⁷⁾ فتح الباري، 49/10.

⁽¹⁰⁸⁾ تفسير ابن كثير، 340/2.

⁽¹⁰⁹⁾ الإتيان للسيوطي، 23/1.

⁽¹¹⁰⁾ النكت والعيون، 63/1، 446.

⁽¹¹¹⁾ الإتيان، 23/1.

أدلة هذا الفريق:

1. أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن ابن عامر عن أبي أمامة قال: قال رسول الله: أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام.

قال العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - : ضعيف جدا⁽¹¹²⁾.

2. الارتباط الأغلي بين أماكن النزول ومصطلح المكي والمدني، فغالب الآيات نزلت بمكة أو بالمدينة.

الاصطلاح الخطابي: فالمكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

وينسب لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولعلقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبي شبل النخعي الكوفي، تلميذ ابن مسعود - رضي الله عنه -، (ت: 62).

دليل هذا الفريق:

روى الداني في بيانه فقال:

أخبرنا سلمون بن داود القروي قال: أنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم قال أنا محمد بن بشر بن مطر قال: أنا ابن

بلال قال أنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كل شيء في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا

النَّاسُ﴾ أنزل بمكة، وكل شيء في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أنزل بالمدينة⁽¹¹³⁾.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه فقال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كل شيء في القرآن:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أنزل بالمدينة، وكل شيء في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أنزل بمكة⁽¹¹⁴⁾.

ملاحظة: صحح الدارقطني الرواية عن علقمة فقط، دون ابن مسعود رضي الله عنه⁽¹¹⁵⁾.

ما تعقب به كل رأي:

ولقد تعقب كل قول بجملة من الاعتراضات نذكر أهمها:

ما تعقب به الاصطلاح الزماني:

1. أثر يحيى بن سلام البصري ضعيف لا يثبت.

2. اعترض عليه أيضا بما نزل في طريق الهجرة قبل بلوغ النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٨٥)

[القصص: 58] الذي لم يبين حكمه فقيل مكى على قول يحيى بن سلام، وقيل مدني كقول النحاس⁽¹¹⁶⁾.

⁽¹¹²⁾ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، 901-900/14.

⁽¹¹³⁾ البيان في عد أي القرآن، ص 132.

⁽¹¹⁴⁾ مصنف ابن أبي شيبة، 522/10.

⁽¹¹⁵⁾ العلل، 169-168/5.

الرد على التعقيبات:

1. وإن كان الأثر عن يحيى بن سلام ضعيفا، فعمل الصحابة ثابت بذلك.

2. أما اعتراضهم بما نزل في طريق الهجرة قبل بلوغ النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي

فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص:

58] فلا ينافي هذا الاصطلاح لاتفاقهم على عدم خروج تلك الحالة من الاصطلاح سواء أ جعلت مكة أم مدينة.

ما تعقب به الاصطلاح المكاني:

تعقب بأنه:

1. غير ضابط ولا حاصر، لعدم شموله ما نزل بغير مكة والمدينة.

2. ضعف الأثر المستدل به، وهو عند الطبراني في الكبير عن أبي أمامة قال: قال رسول الله: أنزل القرآن في ثلاثة

أمكنة مكة والمدينة والشام.

ما تعقب به الاصطلاح الخطابي:

مما تعقب به:

1. لا يحصر ولا يضبط، ففي القرآن ما نزل بغير هذين الخطابين كسورة الأحزاب.

2. من السور المدنية اتفقا وصدرت ب: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ كسورة البقرة وسورة النساء.

3. اثر المستدل به الصحيح أنه عن علقمة لا عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الراجع من الأقوال:

الراجع - والله أعلم - هو الاصطلاح الزماني لأنه اصطلاح ضابط حاصر مطرد لا يختلف، وعليه المحققون من

أهل العلم: كابن عطية، والزركشي، وابن كثير، والسيوطي، وغيرهم.

المصنفات في هذا العلم:

من العلماء من أفرد هذا العلم بالتصنيف ومنهم ممن تكلم عليه ضمن كتابه، وفيما يأتي بيان لذلك:

أولا: المصنفات المفردة في المكي والمدني:

1. كتاب في نزول القرآن: لعكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، ت: 104 هـ، ذكره ابن النديم⁽¹¹⁷⁾.

2. كتاب في نزول القرآن: للحسن بن يسار البصري، ت: 110 هـ، ذكره ابن النديم⁽¹¹⁸⁾.

⁽¹¹⁶⁾ ينظر ترجيحات الزركشي في علوم القرآن، ص 144.

⁽¹¹⁷⁾ الفهرست، 38/1.

⁽¹¹⁸⁾ الفهرست، 38/1.

3. تنزيل القرآن: ينسب لابن شهاب الزهري محمد بن مسلم، ت: 125 هـ، طبعت بتحقيق: صلاح الدين المنجد، وطبعت بتحقيق: حاتم صالح الضامن، ضمن سلسلة كتب الناسخ والمنسوخ، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 2 سنة: 1418 هـ/1998م، من: ص 37- إلى ص: 42.

4. تنزيل القرآن: لعطاء الخراساني، ت: 135 هـ، ذكره الداودي⁽¹¹⁹⁾.

5. فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة: لابن الضريس، أبي عبد الله محمد بن أيوب البجلي، ت: 294 هـ، والكتاب مطبوع في مجلدين،

6. عدد سور القرآن وآياته وحروفه ومعرفة مكيه ومدنيه، لأبي القاسم عمر بن محمد الشهير بابن عبد الكافي، ت: 400 هـ، وهو كتاب هام، ومرجع لجان كتابة مصاحف المدينة النبوية، والكتاب مطبوع.

7. تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه:: لابن زنجلة أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد، ت: حدود 403 هـ، وهو مطبوع ضمن مجلة معهد الإمام الشاطبي بجدة العدد 2 في ذي الحجة 1427 هـ بتحقيق غانم قدور الحمد.

8. التنزيل وترتيبه: لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، ت: 406 هـ.

9. المكي والمدني: لمكي بن أبي طالب القيسي، ت: 437 هـ، ذكره السيوطي في الإتيقان⁽¹²⁰⁾.

10. المكي والمدني في القرآن واختلاف المكي والمدني في آية: لمحمد بن شريح الإشبيلي الرعي، ت: 476 هـ، ذكره ابن خير.

11. يتيمة الدرر في النزول وآيات السور: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الموصلي الحنبلي الشهير بشعلة، ت: 656 هـ.

12. الأرجوزة المتضمنة معرفة المكي والمدني من سور القرآن الكريم: لبدر الدين محمد بن أيوب التاذني، ت: 705 هـ.

13. تقريب المأمول في ترتيب النزول: لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري، ت: 732 هـ.

14. الكلام على أماكن من التنزيل: لابن أبي شريف إبراهيم بن محمد برهان الدين الشافعي، ت: 932 هـ.

15. رسالة العوفي في المكي والمدني والناسخ والمنسوخ فيه وعدد الآي وغير ذلك: لمحمد بن أحمد العوفي، ت: 1050 هـ.

16. أرجوزة في القرآن المكي والمدني وما في تعداده من الخلاف: لمحمد بن أحمد بوزان الخزاني.

ثانيا: المصنفات التي ذكرت المكي والمدني مع موضوعات أخرى:

1. فضائل القرآن ومعالمه وآدابه: لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت: 224 هـ.

⁽¹¹⁹⁾ طبقات المفسرين، 385/1.

⁽¹²⁰⁾ الإتيقان، 22/1.

2. المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر عبد الله بن أبي شيبه، ت: 235 هـ.
3. فهم القرآن: للحارث المحاسبي، ت: 243 هـ.
4. الفهرست: لابن النديم، ت: 438 هـ.
5. البيان في عد آي القرآن: لأبي عمرو الداني عثمان بن سعيد، ت: 444 هـ.
6. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: 458 هـ.
7. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت: 597 هـ.
8. جمال القراءة وكمال الإقراء: لعلم الدين علي بن محمد السخاوي، ت: 643 هـ.
9. المدد في معرفة العدد: لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري، ت: 732 هـ.
10. الموافقات في أصول الشريعة: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: 790 هـ.
11. البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي، ت: 794 هـ.
12. كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت: 807 هـ.
13. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي، ت: 817 هـ.
14. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: 885 هـ.
15. الإتيقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي، ت: 911 هـ.
16. الزيادة والإحسان في علوم القرآن: لابن عقيلة المكي، ت: 1150 هـ.

وغير ذلك من كتب علوم القرآن المعاصرة.

عناية العلماء بالمكي والمدني:

بين الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتابه التنبيه على فضل علوم القرآن على أهمية هذا العلم فقال كما نقل عنه السيوطي في الإتيقان:

من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة وما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي وما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية وما نزل ليلا وما نزل نهارا وما نزل مشيعا وما نزل مفردا والآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكيات في السور المدنية وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة وما نزل مجملا وما نزل مفسرا وما اختلفوا فيه

فقال بعضهم مدني وبعضهم مكّي فهذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يجل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى، انتهى⁽¹²¹⁾.

ومن حفظ عنه العناية بهذا العلم والاهتمام به الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه⁽¹²²⁾.

ومن كان له اهتمام بهذا العلم كذلك عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - وسعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - فقد روى مسلم في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ قال: لا. قال فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الفرقان: 68] إلى آخر الآية. قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...﴾ [النساء: 93]⁽¹²³⁾.

وروى أبو نعيم في الحلية عن أيوب قال سألت رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: نزلت في سفح ذلك الجبل، وأشار إلى سلع⁽¹²⁴⁾.

فوائد معرفة هذا العلم:

ذكر العلماء فوائد عديدة في معرفة المكّي والمدني نذكر منها:

1. تمييز الناسخ من المنسوخ: ذكر العلماء المصنفون في الناسخ والمنسوخ أهمية معرفة المكّي والمدني في تمييز ذلك، فإن تعارض حكمان أحدهما في آية مكية، وآخر في آية مدنية، علمنا الناسخ من المنسوخ.
أمثلة:

المثال الأول: ما مر معنا مما أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ قال: لا. قال فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ [الفرقان: 68] إلى آخر الآية. قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا...﴾ [النساء: 93]⁽¹²⁵⁾.

⁽¹²¹⁾ الإتيان، 22/1.

⁽¹²²⁾ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، 347/3.

⁽¹²³⁾ صحيح مسلم، كتاب التفسير، 2318/4.

⁽¹²⁴⁾ حلية الأولياء، 327/3.

⁽¹²⁵⁾ ينظر هدى الفرقان في علوم القرآن، غازي عناية، 170/1.

ملاحظة: هذا المثال تعقب من جهتين:

الأولى: لا يصلح مثالا للمسألة إلا على رأي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: لا توبة لقاتل، لأن جماهير العلماء من الصحابة ومن بعدهم يرون قبول التوبة مطلقا من قاتل وغيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وكل وعيد في القرآن فهو مشروط بعدم التوبة باتفاق الناس فبأي وجه يكون وعيد القاتل لاحقا به وإن تاب؟ هذا في غاية الضعف؟ ولكن قد يقال لا تقبل توبته بمعنى أنه لا يسقط حق المظلوم بالقتل؛ بل التوبة تسقط حق الله والمقتول مطالبه بحقه، وهذا صحيح في جميع حقوق الآدميين حتى الدّين، فإن في الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: الشهيد يغفر له كل شيء إلا الدّين، لكن حق الآدمي يعطاه من حسنات القاتل، فمن تمام التوبة أن يستكثر من الحسنات حتى يكون له ما يقابل حق المقتول، ولعل ابن عباس رأى أن القتل أعظم الذنوب بعد الكفر فلا يكون لصاحبه حسنات تقابل حق المقتول، فلا بد أن يبقى له سيئات يعذب بها، وهذا الذي قاله قد يقع من بعض الناس، فيبقى الكلام فيمن تاب وأخلص وعجز عن حسنات تعادل حق المظلوم، هل يجعل عليه من سيئات المقتول ما يعذب به؟ وهذا موضع دقيق على مثله يحمل حديث ابن عباس؛ لكن هذا كله لا ينافي موجب الآية، وهو أن الله تعالى يغفر كل ذنب الشرك والقتل والزنا وغير ذلك من حيث الجملة، فهي عامة في الأفعال مطلقة في الأشخاص⁽¹²⁶⁾.

الثانية: أن النسخ لا يكون في الأخبار. **قال أبو جعفر النحاس:** ومنهم من قال: النسخ يكون في الأخبار، والأمر والنهي. قال أبو جعفر: وهذا القول عظيم جدا يؤول إلى الكفر، لأن قائلا لو قال: قام فلان، ثم قال: لم يقم، فقال: نسخته لكان كاذبا⁽¹²⁷⁾.

المثال الثاني:

ما رواه أبو داود في سننه بإسناد صحيح: عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال: طلقت امرأتي، فأتيت المدينة لأبيع عقارا كان لي بها، فأشترى به السلاح، وأغزو، فلقيت نفرا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: قد أراد نفر منا ستة أن يفعلوا ذلك فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فأتيت ابن عباس فسألته عن وتر النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: أدلك على أعلم الناس بوتر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فأت عائشة - رضي الله عنها -، فأتيتها فاستتبت حكيم بن أفلح فأبى فناشدته فانطلق معي، فاستأذنا على عائشة، فقالت: من هذا؟ قال: حكيم بن أفلح، قالت: ومن معك؟ قال: سعد بن هشام، قالت: هشام بن عامر الذي قتل يوم أحد؟ قال: قلت: نعم، قالت: نعم المرء كان عامرا، قال: قلت: يا أم المؤمنين حدثيني عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ فإن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان القرآن، قال: قلت: حدثيني عن قيام الليل، قالت: ألسنت تقرأ: ﴿يَأَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾ [المزمل: 1]؟ قال: قلت: بلى،

⁽¹²⁶⁾ مجموع الفتاوى، 19/16.

⁽¹²⁷⁾ النسخ والنسخ، 405-404/1.

قالت: فإن أول هذه السورة نزلت فقام أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى انتفخت أقدامهم، وحبس خاتمها في السماء اثني عشر شهرا، ثم نزل آخرها، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة⁽¹²⁸⁾.

قال أبو جعفر النحاس: فتبين بهذا الحديث أنه كان فرضا عليه وعلى أصحابه ثم نسخ، وقول عائشة حولا يبين لك ما في الناسخ والمنسوخ⁽¹²⁹⁾.

2. الاستفادة في أسلوب الدعوة إلى الله: فلكل مرحلة أسلوبها، مما يتيح للداعية تحري الأسلوب المناسب لأحوال الناس.

3. الاستعانة بذلك في تفسير القرآن الكريم: فبمعرفة سبب النزول يتضح المراد الحقيقي من الآيات القرآنية.

ذكر جمع من المفسرين كالبعوي وغيره أن سبب نزول قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131] أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حلَّ به ضيف، فاستسلف من اليهودي فلم يسلفه إلا برهن⁽¹³⁰⁾.

قال ابن عطية في المحرر الوجيز:

قال بعض الناس: سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو رافع مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: نزل ضيف برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأرسلني - عليه السلام - إلى رجل من اليهود، وقال: قل له: يقول لك محمد: نزل بنا ضيف، ولم يلق عندنا بعض الذي يصلحه؛ فبعني كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب فقال: لا، إلا برهن. قال: فرجعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته فقال: والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأدبت إليه، اذهب بدرعي إليه، ونزلت الآية تعزية له عن الدنيا. وهذا معترض أن يكون سببا؛ لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصة التي ذكرت⁽¹³¹⁾.

4. معرفة تاريخ التشريع: حيث يعرف تشريع الأحكام زمانا ومكانا، فيعرف السابق من اللاحق، ونقف على سنة الله في التدرج بالأمة من الأصول إلى الفروع، ومن الأخف إلى الأثقل، وهو أمر يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة في تربية الفرد والجماعة⁽¹³²⁾.

⁽¹²⁸⁾ صحيح أبي داود، 367/1-368.

⁽¹²⁹⁾ الناسخ والمنسوخ، 404/1-405.

⁽¹³⁰⁾ معالم التنزيل، ص 830.

⁽¹³¹⁾ المحرر الوجيز، ص 1272.

⁽¹³²⁾ ينظر الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص 593.

فالتشريع الخاص بتحريم الخمر كان تدريجياً، وكان ابتداءه في مكة بقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) وكان انتهاؤه في المدينة بقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩٠) [المائدة: 90].

5. الوقوف على حقيقة السيرة النبوية ومراحلها : وذلك من خلال تتبع الآيات المكية والمدنية.

وقد تتبع جمع من العلماء أحداث السيرة النبوية، وصنفوا فيها مصنفات من خلال نصوص الآيات القرآنية.

طريق معرفة المكي والمدني:

يعرف المكي والمدني بطريقتين هما:

الطريق الأول: عن طريق السماع والنقل.

الطريق الثاني: عن طريق القياس والاجتهاد.

قال الإمام الجعبري في حسن المدد: لمعرفة المكي والمدني طريقان سماعي وقياسي⁽¹³³⁾.

طريق السماع والنقل:

والمقصود به ما نقل عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهم شاهدوا الوحي، وعاشوا التنزيل.

أمثلة على ذكر الصحابة رضي الله عنهم ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة:

1. روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه⁽¹³⁴⁾.

2. وروى البخاري في صحيحه عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت ابن مسعود - رضي الله عنه - قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي⁽¹³⁵⁾.

3. وروى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تنزوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني

⁽¹³³⁾ حسن المدد في معرفة العدد، ص 45.

⁽¹³⁴⁾ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، 347/3.

⁽¹³⁵⁾ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، 248/3.

لجارية ألعب: ﴿بِلِ السَّاعَةِ مَوَّعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: 46]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده⁽¹³⁶⁾.

ومن ينقل عنهم المكي والمدني - كذلك - التابعون.

قال الإمام الباقلاني: إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن النبي في ذلك قول، لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول، انتهى⁽¹³⁷⁾.

طريق القياس والاجتهاد:

فإن لم يوجد نقل عن الصحابة أو عن التابعين نظر في خصائص المكي وخصائص المدني وألحق ما لم ينص عليه بما نص عليه.

ضوابط تمييز المكي:

1. كل سورة فيها ﴿كَلَّا﴾^ط فهي مكية.
2. كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.
3. كل سورة فيها ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ وليس فيها ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهي مكية.
4. كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الماضية فهي مكية سوى سورة البقرة وسورة آل عمران، أو كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الماضية سوى أهل الكتاب فهي مكية.
5. كل سورة في أولها حروف المعجم فهي مكية سوى سورة البقرة وسورة آل عمران فهما مدنيتان باتفاق.
6. كل سورة فيها سجدة فهي مكية، وفي سورة الحج اختلاف⁽¹³⁸⁾.
7. كل سورة افتتحت بالحمد فهي مكية.

ضوابط تمييز المدني:

1. كل سورة فيها ذكر المنافقين وأحوالهم فهي مدنية، سوى سورة العنكبوت فإنها مكية.
2. كل سورة فيها الإذن بالجهاد، أو الأمر به وأحكامه، والصلح والمعاهدات فهي مدنية، وفي سورة الحج اختلاف.
3. كل سورة فيها ذكر فيها حد أو فريضة فهي مدنية.
4. كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.

⁽¹³⁶⁾ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، 3/345.

⁽¹³⁷⁾ الإتيان، 1/23.

⁽¹³⁸⁾ ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 204-205، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص 57-58.

خصائص السور المكية:

1. يعالج موضوع العقيدة وتوحيد الله تعالى، والرسالة، واليوم الآخر، وجدال المشركين.
2. الكلام عن مكارم الأخلاق، وبيان عادات الجاهلية.
3. ذكر قصص الأنبياء والرسل، والأمم السابقة.
4. قصر الفواصل بين الآيات.

خصائص السور المدنية:

1. ذكر كل ما يتعلق بعبادة المسلم، ومعاملاته.
2. بيان ضلال أهل الكتاب ودعوتهم للحق.
3. بيان حقيقة النفاق والمنافقين.
4. طول الآيات.

أسماء السور المكية والمدنية والمختلف فيها:

نقل الإمام السيوطي في الإتيان عن الإمام ابن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ عدد السور المدنية اتفقا، وعدد السور المختلف فيها، وعدد السور المكية، وهي على النحو الآتي:

أسماء السور المدنية اتفقا:

وهي باتفاق عشرون سورة:

1. البقرة.
2. آل عمران.
3. النساء.
4. المائدة.
5. الأنفال.
6. التوبة.
7. النور.
8. الأحزاب.
9. محمد – صلى الله عليه وسلم –.
10. الفتح.
11. الحجرات.
12. الحديد.
13. المجادلة.
14. الحشر.
15. الممتحنة.
16. الجمعة.
17. المنافقون.
18. الطلاق.
19. التحريم.
20. النصر.

قال أبو الحسن بن الحصار:

وبعد هجرة خير الناس قد	وخامس الخمس في الأنفال ذي
نزلت	العبر
عشرون من سور القرآن في	فأربع من طوال السبع أولها
عشر	
وتوبة الله إن عدت فسادسة	وسورة النور والأحزاب ذي الذكر
وسورة لنبي الله محكمة	والفتح والحجرات الغر في غرر
ثم الحديد ويتلوها مجادلة	والحشر ثم امتحان الله للبشر
وسورة فضح الله النفاق بها	وسورة الجمع تذكار لمذكر

والنصر والفتح تنبيها على العمر

وللطلاق وللتحريم حكمهما

وقد تعارضت الأخبار في آخر

هذا الذي اتفقت فيه الرواة له

أسماء السور المختلف فيها:

1. الفاتحة. 2. الرعد. 3. الرحمن. 4. الصف. 5. التغابن. 6. المطففين. 7. القدر. 8. البينة. 9. الزلزلة. 10. الإخلاص. 11. الفلق. 12. الناس.

قال ابن الحصار:

تؤولت الحجر تنبيها لمعتبر

تعارض النقل في أم الكتاب

وقد

ما كان للخمس قبل الحمد من

أم القرآن وفي أم القرى نزلت

أثر

وقال أيضا:

وأكثر الناس قالوا الرعد كالقمر

فالرعد مختلف فيها متى نزلت

مما تضمن قول الجن في الخبر

ومثلها سورة الرحمن شاهدها

ثم التغابن والتطفييف ذو النذر

وسورة للحواريين قد علمت

ولم يكن بعدها الزلزال فاعتبر

وليلة القدر قد خصت بملتنا

وعوذتان ترد البأس بالقدر

وقل هو الله من أوصاف

خالقنا

وربما استثنيت آي من السور

وذا الذي اختلفت فيه الرواة

له

أسماء السور المكية:

هي ما تبقى من السور، وهي اثنتان وثمانون سورة.

رابعا: مسائل في أنواع من النزول القرآني:

أولا: ما نزل في الحضر وما نزل في السفر:

له أمثلة كثيرة منها:

أمثلة الحضري:

روى ابن ماجة وغيره وصححه الألباني عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ...﴾ (١) [المجادلة: 1] (139).

أمثلة السفري:

1 . ما أخرجه ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه أنه سمع جابرا - رضي الله عنه - يحدث عن حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر - رضي الله عنه - هذا مقام أئينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذة مصلى؟ فنزلت.

قال ابن حجر في العجَاب: وسنده صحيح⁽¹⁴⁰⁾.

2 . ما رواه البخاري في صحيحه عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يجبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، وقال: عمر بن الخطاب ثكلتك أمك يا عمر، نزلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري، ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل في قرآن فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، وحيث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسلمت عليه، فقال: لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس،

ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: 1] ⁽¹⁴¹⁾.

⁽¹⁴⁰⁾ العجَاب في بيان الأسباب 377/1.

⁽¹⁴¹⁾ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ 297-296/3.

ثانيا: ما نزل في النهار وما نزل في الليل:

ما نزل في النهار:

1 . روى الإمام الحاكم في مستدركه وصححه، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل حجرة، وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين شيطان، فإذا جاءكم لا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور، فقال حين رآه دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: على ما تشتمني أنت وأصحابك فقال: ذرني آتك بهم، فانطلق فدعاهم فحلفوا ما قالوا وما فعلوا حتى يخون فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ^ط وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ [المجادلة: 18] (142).

2 . روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ أقبلت غير تحمل طعاما، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا اثنا عشر رجلا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَمًّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾ [الجمعة: 11] (143).

ما نزل في الليل:

1 . روى ابن حبان في صحيحه وجود إسناده الألباني عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زر غبا تزدد حبا، قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: يا عائشة ذرني أتعبد الليلة لربي، قلت: والله إني لأحب قريبك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟ لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190] الآية كلها (144).

(142) مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة، 568/2.

(143) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة فصلاة الإمام ومن بقي جائزة، 235-234/1.

(144) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، 387-386/2.

2. روى النسائي في سننه وصححه الألباني عن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

آيات أنزلت علي الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: 1] (145).

ثالثا: ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء:

ما نزل في الصيف:

مثاله: نزول قول الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ إِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الْثُلثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: 176] كان في الصيف.

روى مسلم في صحيحه عن معدان بن أبي طلحة: أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة فذكر نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئا أهم من الكلاله، ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلاله، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟ وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن (146).

ما نزل في الشتاء:

مثاله: ما رواه البخاري عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثي، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه. قال الزهري: وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم أوعى من بعض، وأثبت له اقتصاصا، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضها، زعموا أن عائشة قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه... إلى أن قالت: حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، فلما سُري عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة احمدي الله فقد برك الله. فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [النور: 11]. الآيات. فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه -: والله

(145) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب الفضل في قراءة المعوذتين، 497-496/2.

(146) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلاله، 1236/3.

لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ﴾ ^ط إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^ط [النور: 22] فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه...⁽¹⁴⁷⁾.

رابعا: ما نزل والنبي صلى الله عليه وسلم على فراشه:

مثاله:

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ثم فتر عني الوحي فترة، فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئنت منه، حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدِيرُ﴾ ^ط [المدثر: 1] إلى: ﴿فَاهْجُرْ﴾ ^ط [المدثر: 5] ، قال أبو سلمة: والرجز الأوثان⁽¹⁴⁸⁾.

⁽¹⁴⁷⁾ صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، 232/2-234.

⁽¹⁴⁸⁾ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، 390/2-391.

خامسا: ما نزل والنبى - صلى الله عليه وسلم - على الأرض، وما نزل والنبى - صلى الله عليه وسلم - في السماء:

ما نزل والنبى صلى الله عليه وسلم على الأرض:

مثاله:

نزل قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْفَرَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: 6 - 14].

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعقر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال واللات والعزى لئن رأيتك يفعل ذلك لأطأن على رقبتك، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبتك، قال: فما فئتهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخذقا من نار، وهولا، وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، قال: فأنزل الله عز وجل: ... الآيات⁽¹⁴⁹⁾.

ما نزل والنبى صلى الله عليه وسلم في السماء:

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها ... قال: فأعطي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المصححات⁽¹⁵⁰⁾.

سادسا: أول ما نزل من القرآن:

اختلف العلماء في أول ما نزل من القرآن، فقيل: اقرأ، وقيل: المدثر، وقيل: البسملة، وقيل: الفاتحة. والذي صح نقله قولان هما:

القول الأول: أول ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق: 1]. وهو قول جمهور العلماء، منهم: عائشة

وابن عباس - رضي الله عنهما -، ومجاهد، والباقلاني، والزركشي⁽¹⁵¹⁾.

قال السيوطي: وهو الصحيح⁽¹⁵²⁾.

⁽¹⁴⁹⁾ صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْفَرَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾، 2154/4.

⁽¹⁵⁰⁾ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، 157/1.

⁽¹⁵¹⁾ ينظر: البرهان، 293/1.

⁽¹⁵²⁾ الإتيقان، 69-68/1.

دليله:

1. ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه - قال: والتحنث: التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلهما، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق: 1 - 4]. الآيات إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: 5]. فرجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترجف بوادره...⁽¹⁵³⁾.

وجه الدلالة من الحديث:

أ. تصريح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بذلك.
ب. قولها: حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. مما يدل على الأولوية.
ج. أمر جبريل عليه السلام للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالقراءة ثلاث مرات، وردده عليه الصلاة والسلام أنه ليس بقارئ، مما يدل على أنه لم يعرف وحيا قبل هذه المرة.

2. روى الحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول سورة نزلت

من القرآن: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾⁽¹⁵⁴⁾.

القول الثاني: أول ما نزل: المدثر.

روي هذا القول عن جابر - رضي الله عنه -.

دليله:

روى البخاري عن أبي سلمة قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾

فقلت أنبت أنه: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ فقال: لا أحبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم جاورت في حراء، فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت

⁽¹⁵³⁾ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، 3/390-391.

⁽¹⁵⁴⁾ مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، 2/622.

أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً، وأنزل علي: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِّيْرُ ۝١ قُرْآنًا نَذِيْرًا ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيْرًا ۝٣﴾ [المدثر: 1 - 3] (155).

وليس بين هذين القولين تعارض، فقد روى البخاري أن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: وهو يحدث عن فترة الوحي فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حديثه: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِّيْرُ ۝١ قُرْآنًا نَذِيْرًا ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: 5]. فحمني الوحي وتتابع (156).

ففيه أن الوحي سبق بالنزول قبل ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِّيْرُ﴾ لكنه لم يكن يعلم أن السابق هو: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وهو لم ينكر على أبي سلمة قوله حينما سأله، وإنما ذكر له ما علم، ولعائشة - رضي الله عنها - علم بذلك.
سابعاً: آخر ما نزل من القرآن:
آخر آية نزلت:

آخر آية نزلت في كتاب الله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

روى النسائي بإسناد صحيح عن عكرمة، عن ابن عباس قال: آخر شيء نزل من القرآن: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (157).
أما ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عند البخاري في صحيحه، قوله: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا (158).

فيقصد بذلك الآية نفسها، لأنها تمام آيات الربا.

آخر سورة نزلت:

آخر سورة نزلت هي سورة النصر.

روى مسلم في صحيحه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن

نزلت جميعاً؟ قلت: نعم. ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: 1]، قال: صدقت (159).

(155) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِيْرًا﴾ 322/3-323.

(156) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَيَابَاكَ نَطَهْرُ﴾ 323/3.

(157) السنن الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ 39/10-40.

(158) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ 197/3.

رابعاً: الأحرف السبعة والقراءات القرآنية:

الأول: الأحرف السبعة:

الأحاديث الواردة في المسألة:

وردت في موضوع الأحرف السبعة التي بها نزل القرآن الكريم أحاديث عدة أهمها:

الحديث الأول:

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزیده حتى انتهى إلى سبعة أحرف⁽¹⁶⁰⁾.

الحديث الثاني:

وروى البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرنيها وكدت أن أعجل عليه ثم أمهلت حتى انصرف ثم لبته بردائه فحئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأنيها فقال لي: أرسله. ثم قال له: اقرأ. فقرأ قال: هكذا أنزلت. ثم قال لي: اقرأ. فقرأت فقال: هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا منه ما تيسر⁽¹⁶¹⁾.

الحديث الثالث:

وروى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند أضاة بني غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأبى حرف قرءوا عليه فقد أصابوا⁽¹⁶²⁾.

الحديث الرابع:

وروى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذا كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا، فقال لي يا أبي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلى الثانية أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون

⁽¹⁶⁰⁾ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، 387/2.

⁽¹⁶¹⁾ صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، 164/2-165.

⁽¹⁶²⁾ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، 562-563.

على أمتي فرد إلى الثالثة أقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها فقلت: اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم - صلى الله عليه وسلم -⁽¹⁶³⁾.

درجة الحديث:

حديث الأحرف السبعة حديث متواتر رواه جملة كبيرة من الصحابة بلغ عددهم خمسة وعشرين نفساً.

قال السيوطي في الإتقان: نزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة: أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمره بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بكر، وأبي جهيم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأم أيوب، فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً⁽¹⁶⁴⁾.

ومنهم كذلك: عبادة بن الصامت، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عبد القارئ، والمسور بن مخرمة، فهؤلاء خمسة وعشرون.

الذين نصوا على تواتره:

وقد نص على تواتره أبو عبيد في فضائل القرآن⁽¹⁶⁵⁾، وابن الجزري⁽¹⁶⁶⁾، وغيرهم.

فوائد هذه الأحاديث:

استنبط العلماء من هذا الحديث جملة من الفوائد أهمها:

1. الخلاف الحاصل بين عمر وهشام بن حكيم في لفظ التلاوة مما يدل على أن القرآن يقرأ بأكثر من وجه، وهي اللغات المبتوثة في القرآن الكريم.
2. الخلاف الحاصل بين الصحابة في التلاوة لم يكن عن اجتهاد منهم، وإنما كان عن توقيف بدليل حديث مسلم وغيره: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على...⁽¹⁶⁷⁾
3. نزول الأحرف تيسير على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم -: وإن أمتي لا تطيق ذلك.
4. العدد سبعة مقصود بدليل ذكر الحرف، وطلب الزيادة للرقم الذي بعده.

الحكم والفوائد من نزول القرآن على سبعة أحرف:

حكم كثير نذكر منها:

⁽¹⁶³⁾ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، 1/ 561-562.

⁽¹⁶⁴⁾ الإتقان، 1/ 131.

⁽¹⁶⁵⁾ فضائل القرآن، 2/ 168.

⁽¹⁶⁶⁾ النشر، 1/ 21.

1. شفقتة ورحمته عليه الصلاة والسلام بأمته مما يدركها من الحرج بسبب اختلاف ألسنتها وتباين لهجاتها، وأمّية أهلها: وقد عبر عن ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمّتي لا تطيق ذلك.

قال ابن جنّي: واعلم أن العرب تختلف أحوالها في تلقّي الواحد منها لغةً غيره، فمنهم من يخفّ ويسرع قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتّة، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به، ووُجدت في كلامه⁽¹⁶⁷⁾.

وفي حديث الترمذي، وقال حسن صحيح، عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل فقال: يا جبريل: إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف⁽¹⁶⁸⁾.

2. نزول الأحرف السبعة خصيصة من خصائص أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - : وذلك أن الكتب السابقة نزلت على حرف واحد، وميز الله الكتاب الخالد بنزوله على أحرف سبعة.

ودليل ذلك ما رواه الحاكم وصححه عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7] ⁽¹⁶⁹⁾.

3. الدلالة على صيانة القرآن الكريم من الخطأ والتحريف والتبديل: رغم تعدد الأوجه والقراءات.

الأقوال الواردة في المسألة.

اختلفت نظرة العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافاً كبيراً، حتى أوصلها بعضهم إلى أربعين قولاً، وأهم هذه الأقوال:

القول الأول: المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل وتعال وهلم وعجل وأسرع وهو مذهب سفيان بن عيينة، وابن جرير الطبري، وابن وهب، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء. ومن أدلة هذا المذهب:

⁽¹⁶⁷⁾ الخصائص، 383/1.

⁽¹⁶⁸⁾ سنن الترمذي، أبواب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، 60/5.

⁽¹⁶⁹⁾ مستدرک الحاكم، كتاب التفسير، 347-346/2.

ما أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي بكرة أن جبريل قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف قال ميكائيل استزده، قال: اقرأه على سبعة أحرف، . . . حتى بلغ سبعة أحرف، قال كل شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب نحو قولك تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرع وعجل.

قال السيوطي: هذا اللفظ رواية أحمد وإسناده جيد⁽¹⁷⁰⁾.

وتعقب هذا الرأي بأن ما ذكر للتمثيل لا للحصر.

قال ابن عبد البر: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها إنما معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا يكون في شيء منها معنى وضده ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده⁽¹⁷¹⁾.

ويرد عليه بأن أكثر اختلاف العرب كان في اللهجات لا في الألفاظ المترادفة.

كما لا نجد وجهاً لما قاله ابن جرير في المصاحف العثمانية اليوم، وهي مرسومة برسم واحد.

القول الثاني:

ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمئة في المئين، ولا يراد العدد المعين. وإلى هذا مال القاضي عياض⁽¹⁷²⁾، والقاسمي⁽¹⁷³⁾.

وقد رد هذا المذهب الإمام السيوطي قائلاً: ويرده ما في حديث ابن عباس في الصحيحين أن رسول الله قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعت، فلم أزل أستزیده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف... فهذا يدل على حقيقة العدد والمحصاره⁽¹⁷⁴⁾.

القول الثالث:

أن المراد بها سبع قراءات، ونسبه الزركشي للخليل بن أحمد الفراهيدي⁽¹⁷⁵⁾.

قال السيوطي: وتعقب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل مثل ﴿وَعَبَدَ الظَّلْغُوتَ^٤﴾

[المائدة: 60]، و ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُقٍ﴾ [الإسراء: 23]⁽¹⁷⁶⁾.

⁽¹⁷⁰⁾ الإتنان، 134/1.

⁽¹⁷¹⁾ الإتنان، 134/1.

⁽¹⁷²⁾ ينظر الإتنان، 131/1.

⁽¹⁷³⁾ تفسير القاسمي، 287/1.

⁽¹⁷⁴⁾ الإتنان، 131-132/1.

⁽¹⁷⁵⁾ البرهان، 305/1.

⁽¹⁷⁶⁾ الإتنان، 132/1.

القول الرابع:

المراد بها سبعة أوجه من أوجه التغير.

وهو مذهب أبي حاتم السجستاني، وابن قتيبة، والباقلاني، وأبي الفضل الرازي، ومحمد ابن الجزري.

ثم اختلفوا في تعيين الوجوه التي وقع بها التغير اختلافاً كبيراً:

مذهب أبي حاتم السجستاني:

يرى أنّها: إبدال لفظ بآخر، وإبدال حرف بآخر، والتقديم أو التأخير بين الألفاظ أو الحروف، وزيادة

حرف أو نقصانه، واختلاف حركات البناء، واختلاف الإعراب، والاختلاف الصوتي بين التفخيم

والإمالة والإظهار والإدغام.

مذهب ابن قتيبة والباقلاني:

يرى أن الاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بالزيادة والنقصان، والاختلاف بتغيير صورة اللفظ و معناه، والاختلاف بتغيير لفظ الكلمة ومعناها دون صورتها، والاختلاف في بناء الكلمة ولفظها بما لا يغير كتابتها ولا معناها، والاختلاف بما يغير الصورة واللفظ، ولا يغير المعنى، والاختلاف في حركات الإعراب والبناء⁽¹⁷⁷⁾.

مذهب أبي الفضل الرازي:

يرى أن الاختلاف بين الإفراد والتثنية والجمع، والاختلاف في تصريف الأفعال وما يسند إليها، والاختلاف في وجوه الإعراب، والاختلاف بالزيادة والنقص، والاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بقلب وإبدال كلمة بأخرى أو حرف بآخر، واختلاف اللغات⁽¹⁷⁸⁾.

مذهب ابن الجزري:

قال: تتبعت القراءات صحيحها وشاذها، وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف، لا يخرج عنها، وذلك: إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة: نحو ﴿بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: 37] بأربعة، و﴿يَحْسَبُ﴾ [الهمزة: 3] بوجهين، أو بتغيير في المعنى فقط نحو: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: 37]، و﴿وَأَذَكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: 45]، وإما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو: ﴿تَبَلَّأُوا﴾ [يونس: 30] و﴿تتلوا﴾، و﴿نُنَجِّيكَ بِيدِنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ [يونس: 92] و﴿ننجيك بيدنك﴾، أو عكس ذلك نحو: ﴿بَصَّطَةٌ﴾ و﴿بَسْطَةٌ﴾ [البقرة: 247]، و﴿الصِّرَاطَ﴾ و﴿السِّرَاطَ﴾ [الفاتحة: 6]، أو بتغييرها نحو: ﴿أَشَدَّ مِنْكُمْ﴾ و﴿مِنْهُمْ﴾ [التوبة: 69]، و﴿يَأْتِلُ﴾ [النور: 22] و﴿يتأل﴾، و﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾، وإما في التقديم والتأخير نحو: ﴿فَيَقْنُلُونَ وَيُقْنَلُونَ﴾ [التوبة: 111]، و﴿جاءت سكرة الحق بالموت﴾، أو في الزيادة والنقصان نحو: ﴿وأوصى﴾ و﴿ووصى﴾ [البقرة: 132]، و﴿الذكر والأنثى﴾ [الليل: 3] فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها، وأما نحو اختلاف الإظهار، والإدغام، والروم، والإشمام، والتفخيم، والترقيق، والمد، والقصر، والإمالة، والفتح، والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والنقل مما يعبر عنه بالأصول فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً، ولئن فرض فيكون من الأول⁽¹⁷⁹⁾.

⁽¹⁷⁷⁾ تأويل مشكل القرآن، ص 37-38.

⁽¹⁷⁸⁾ البرهان، 309/1، والإتقان، 133/1-134.

⁽¹⁷⁹⁾ النشر 26/1-27.

القول الخامس: المراد بالأحرف سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، وهو مذهب أبي عبيد القاسم بن سلام، وثعلب والأزهري، واختاره ابن عطية، وصححه البيهقي⁽¹⁸⁰⁾.

وهذا أصح الأقول، وأسلمها.

الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية:

اختلف العلماء في الأحرف السبعة ووجودها في المصاحف العثمانية على ثلاثة أقوال هي:

القول الأول:

مذهب ابن جرير الطبري⁽¹⁸¹⁾، وأبي جعفر الطحاوي⁽¹⁸²⁾، والداودي، وأبي عبيد الله بن أبي صفرة، وغيرهم.

يرون اشتغال المصاحف العثمانية على حرف واحد هو حرف قريش.

واختلفوا في الأحرف الباقية هل نسخت، أو تركها الصحابة لما كتبوا المصاحف؟ قولان، والأكثر يقولون بنسخها.

القول الثاني: مذهب جماعة كبيرة من العلماء منهم: الباقلاني، وابن حزم، والداودي وغيرهم⁽¹⁸³⁾. يرون بقاء الأحرف

السبعة كاملة في المصاحف العثمانية.

الأدلة:

● نزول الأحرف للرخصة تيسيرا على الأمة، وهي لا تزال باقية.

● الأحرف قرآن، ولا يمكن إهماله.

● إجماع الصحابة على نقل هذه الأحرف في المصاحف البكرية، وأجمعوا على ترك ما سواها، وقد نقلت

كذلك في المصاحف العثمانية.

القول الثالث: مذهب جمهور العلماء.

يرون اشتغال المصاحف العثمانية على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، على حسب ما ثبت في العرضة

الأخيرة⁽¹⁸⁴⁾.

قال ابن الجزري: وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنّ هذه المصاحف العثمانية

مشتمة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم

على جبريل عليه السلام، متضمنة لها، لم تترك حرفاً منها.

ثم قال: وهذا القول هو الذي يظهر صوابه؛ لأن الأحاديث الصحيحة، والآثار المستفيضة تدلُّ عليه، وتشهد له⁽¹⁸⁵⁾.

قال السيوطي: ولا شك أن القرآن نُسخ منه في العرضة الأخيرة وعُيِّر، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه

قرآن مستقرٌّ في العرضة الأخيرة، وتركوا ما سوى ذلك⁽¹⁸⁶⁾.

⁽¹⁸¹⁾ تفسير الطبري، 53/1.

⁽¹⁸²⁾ شرح مشكل الآثار، 124/8.

⁽¹⁸³⁾ ينظر: البرهان، 304/1-305، وشرح مسلم للنووي، 6/100، و مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 213/13.

⁽¹⁸⁴⁾ الخلاف بين المذهبين الثاني والثالث هل ورد نسخ في العرضة الأخيرة أم لا؟

⁽¹⁸⁵⁾ النشر، 31/1.

⁽¹⁸⁶⁾ الإتيان، 142/1.

الثاني: القراءات القرآنية:

مبحث القراءات القرآنية من أهم مباحث علوم القرآن، وبيانها كما يأتي:

تعريف علم القراءات القرآنية:

قال ابن الجزري في المنجد: القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوا لناقله. خرج: النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك⁽¹⁸⁷⁾.

وقال الشيخ عبد الفتاح القاضي في البدور الزاهرة: هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله⁽¹⁸⁸⁾.

فائدته:

لهذا العلم فوائد كثيرة منها:

- أ - العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية.
- ب - صيانة كلمات القرآن عن التحريف والتغيير.
- ج - العلم بما يقرأ به كل إمام من أئمة القراءة.
- د - التمييز بين ما يقرأ به، وما لا يقرأ به.
- هـ - التسهيل والتخفيف على الأمة.
- و - استنباط الأحكام الفقهية نتيجة لاختلاف القراءات.

واضعه:

وضعه أئمة القراءة، وقيل أبو عمر حفص بن عمر الدوري.

⁽¹⁸⁷⁾ منجد المقرئين، ص 49.

⁽¹⁸⁸⁾ البدور الزاهرة ص 5.

نشأته ومراحل تطوره:

نشأته:

اختلف العلماء في بداية نزول القراءات القرآنية على قولين:

الأول: نزولها بمكة:

مع نزول القرآن، وهو ما ذهب إليه الشيخ محمد سالم محيسن في كتابه: في رحاب القرآن، والقول السديد في الدفاع عن قراءات القرآن المجيد⁽¹⁸⁹⁾.

ودليله:

1. ورود أوجه قرائية لسور وآيات مكية.

قال الشيخ محمد سالم محيسن: ومن الأدلة على ذلك أن معظم سور القرآن الكريم، وعددها: ثلاث وثمانون سورة نزلت بمكة المكرمة، ومما لاشك فيه أنها نزلت بالأحرف السبعة، لأنه لم يثبت بسند قوي، ولا ضعيف أنها نزلت مرة ثانية بالمدينة المنورة.

فعدم نزولها مرة ثانية دليل قوي على أنها نزلت بمكة، إنما نزلت مشتملة على الأحرف السبعة⁽¹⁹⁰⁾.

2. العموم الذي في الحديث الذي رواه الإمام الترمذي في سننه وحسنه عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف⁽¹⁹¹⁾.

3. ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأبى حرف قرءوا عليه فقد أصابوا⁽¹⁹²⁾.

وأضاة بني غفار: يرى ياقوت الحموي في معجم البلدان أنها موضع قريب من مكة⁽¹⁹³⁾، ويرى أبو الوليد محمد بن

عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرق في أخبار مكة: أنها بمكة⁽¹⁹⁴⁾.

⁽¹⁸⁹⁾ القول السديد في الدفاع عن قراءات القرآن المجيد، ص 10.

⁽¹⁹⁰⁾ القول السديد في الدفاع عن قراءات القرآن المجيد، ص 10.

⁽¹⁹¹⁾ سنن الترمذي، أبواب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، 60/5.

⁽¹⁹²⁾ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، 1/562-563.

⁽¹⁹³⁾ معجم البلدان، 1/214.

الثاني: نزولها بالمدينة: وذلك عند دخول كثير من الناس دين الله، وقد اختلفت لغاتهم ولهجاتهم، فرخص باليسير بقراءة الكتاب بالأحرف السبعة.

ودليل هذا الرأي:

1. روى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد القاري، أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهله حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتيها، فقال لي: أرسله، ثم قال له: اقرأ، فقرأ، قال: هكذا أنزلت، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا منه ما تيسر⁽¹⁹⁵⁾.

قال القرطبي في تفسيره: سورة الفرقان: مكية كلها في قول الجمهور⁽¹⁹⁶⁾.

2. ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا⁽¹⁹⁷⁾.

مراحل تطورها:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة: وهي المرحلة التي نزلت فيها القراءات القرآنية على رسول رب البرية محمد - صلى الله عليه وسلم - .

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزیده حتى انتهى إلى سبعة أحرف⁽¹⁹⁸⁾.

وروى مسلم في صحيحه ، عن أبي بن كعب، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته،

⁽¹⁹⁴⁾ أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، محمد بن عبد الله الأزرق، 130/2.

⁽¹⁹⁵⁾ صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، 164/2-165.

⁽¹⁹⁶⁾ الجامع لأحكام القرآن 364/15.

⁽¹⁹⁷⁾ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، 562-563/1.

⁽¹⁹⁸⁾ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، 387/2.

وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا⁽¹⁹⁹⁾.

المرحلة الثانية: مرحلة الانتشار:

وكان ذلك عبر إقراء القرآن الكريم بوجوه قراءته من لدن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحض على ذلك بقوله وفعله وتقريره.

أما قوله فتمثل في:

1 . بيان فضل تعلم القرآن وتعليمه:

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه⁽²⁰⁰⁾.

وروى البخاري أيضا عن عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار⁽²⁰¹⁾.

2 . تركية قراءة بعض الصحابة والحض على أخذ القرآن منهم:

روى البخاري في صحيحه عن مسروق، قال: ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه، سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود - فبدأ به -، وسالم، مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب⁽²⁰²⁾.

وهكذا أقرأ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لأن ربه عز وجل أمره بالبلاغ فقال:

كما في سورة الأعراف: ﴿الْمَصَّ ۝١ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ

لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

وقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ۝١٠٦﴾

وكذا أقرأ الصحابة غيرهم عملا بما في كتاب الله من الأمر، ورغبة بما قال رسول الله في الأجر.

المقرئون من الصحابة:

اشتهر عدد من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالإقراء، ومنهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم -.

المقرئون من التابعين:

واشتهر عدد كبير من التابعين بإقراء القرآن الكريم منهم:

سعيد بن المسيب، وابن شهاب الزهري، وعبد الرحمن بن هرمز بالمدينة. مجاهد وعكرمة بمكة.

نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وابن سيرين، بالبصرة.

علقمة بن قيس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبيرة بالكوفة.

عبد الله بن عامر بالشام.

⁽²⁰⁰⁾ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، 352/3.

⁽²⁰¹⁾ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، 453/2.

⁽²⁰²⁾ صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه، 38/3.

أئمة القراءة العشرة ورواتهم وطرقهم:

وفيما يأتي ذكر لأسماء أئمة القراءة العشرة الذين تواترت قراءاتهم، مع أسماء رواثهم:

البلد	القارئ	الوفاة	الراوي	الوفاة	الراوي	الوفاة
المدينة	نافع	169 هـ	قالون	220 هـ	ورث	19 هـ 7 هـ
مكة	عبد الله بن كثير	120 هـ	البيزي	205 هـ	قنبل	19 هـ 1 هـ
البصرة	أبو عمرو بن العلاء	154 هـ	الدوري	246 هـ	السوسي	26 هـ 1 هـ
دمشق	عبد الله بن عامر	118 هـ	هشام	245 هـ	ابن ذكوان	24 هـ 2 هـ
الكو فة	عاصم	127 هـ	شعبة	193 هـ	حفص	18 هـ 0 هـ
الكو فة	حمزة الزيات	156 هـ	خلف	229 هـ	خلاد	22 هـ 0 هـ
الكو فة	علي الكسائي	189 هـ	أبو الحارث	240 هـ	الدوري	24 هـ 6 هـ
المدينة المدني	أبو جعفر	130 هـ	ابن وردان	160 هـ	ابن جَمَّاز	17 هـ 0 هـ
البصرة	يعقوب	205 هـ	رويس	238 هـ	رُوح	23 هـ 4 هـ
الكو فة	خلف	229 هـ	إسحاق	286 هـ	إدريس	29 هـ 2 هـ

شروط القراءة الصحيحة

وضع العلماء للقراءة الصحيحة المتواترة أركاناً لا بد من توافرها، حتى يحكم للقراءة بالقبول.

قال ابن الجزري: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكّي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه⁽²⁰³⁾.

إذا أركان القراءة الصحيحة هي:

الركن الأول: موافقة العربية، ولو بوجه.

الركن الثاني: موافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً.

الركن الثالث: صحة السند، أو تواتره.

قال ابن الجزري في طيبة النشر:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادُهُ هُوَ الْقُرْآنُ فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ⁽²⁰⁴⁾

أشهر المصنفات في علم القراءات:

ومن أشهر المصنفات المطبوعة في علم القراءات القرآنية:

1. التبصرة في القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيسي، ت: 437 هـ.
2. شرح الهداية، لأحمد بن عمار المهدي، ت: 440 هـ.
3. التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ت: 444 هـ.
4. الكافي في القراءات السبع، لمحمد بن شريح، ت: 476 هـ.
5. النشر في القراءات العشر المتواترة، لمحمد بن الجزري، ت: 833 هـ.
6. تقريب النشر في القراءات العشر، لمحمد بن الجزري.
7. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، لأحمد بن محمد الدمياطي، ت: 1117 هـ.
8. غيث النفع في القراءات السبع، لعلي النوري السفاقي، ت: 1118 هـ.
9. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، ت: 1403 هـ.

المحور الثاني:

حفظ القرآن الكريم:

يتضمن هذا المحور:

- أولاً: جمع القرآن الكريم.
- ثانياً: ترتيب القرآن الكريم.
- ثالثاً: النسخ في القرآن الكريم.

أولاً: جمع القرآن الكريم:

ينقسم الجمع إلى ثلاثة أقسام هي:

جمع الصدور وجمع السطور وجمع حديث هو الجمع الصوتي، وبيانها كالاتي:

القسم الأول: جمع الصدور: ويقصد به حفظ عن غيب واستظهاره.

قال الله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنْبِئْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) .

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفثيه -، فقال لي ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحركهما، فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما، فحرك شفثيه - فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) قال: جمعه في صدرك، ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنْبِئْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) قال: فاستمع وأنصت، ثم إن علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي - صلى الله عليه وسلم - كما أقرأه⁽²⁰⁵⁾.

شرف حفظ القرآن في الصدر وفضله:

حفظ القرآن شرف عظيم قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي سُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٤٩) .

وقد كان لحافظ القرآن مزية على غيره في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان حافظ القرآن:

1. حظي بتكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم له قولاً، مبيناً مكانته، وما له من أجر:

ومن الأحاديث النبوية الدالة على ذلك:

أ. ما رواه البخاري في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم

القرآن وعلمه⁽²⁰⁶⁾.

ب. ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يقول:

اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة

⁽²⁰⁵⁾ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، 330/1.

⁽²⁰⁶⁾ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، 352/3.

كأنهما غماتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة.

قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة⁽²⁰⁷⁾.

وغيرهما من الأحاديث.

2. قدمه النبي صلى الله عليه وسلم في إمامة الصلاة:

روى مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلما، ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه⁽²⁰⁸⁾.

3. ويقدم في القبر أكثرهم أخذاً للقرآن:

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن»، فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم.

5. وجعل ما يحفظه من سور مهرا لمن أراد الزواج:

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، جئت أهب لك نفسي، قال: فنظر إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصعد النظر فيها وصبوه، ثم طأطأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست، فقام رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: «وهل عندك من شيء؟» قال: لا والله يا رسول الله، فقال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله ما وجدت شيئا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظر ولو خاتما من حديد، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزاري - قال سهل: ما له رداء - فلها نصفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا، فأمر به فدعي، فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن. قال: معي سورة كذا وسورة كذا، عددها، فقال: تقرؤهن عن ظهر قلبك قال: نعم، قال: اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن⁽²⁰⁹⁾.

الحافظون للقرآن حفظ صدور زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده:

⁽²⁰⁷⁾ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، 553/1.

⁽²⁰⁸⁾ صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، 465/1.

⁽²⁰⁹⁾ صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج المعسر...، 363/3-364.

أولاً: حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن كاملاً بحروفه السبعة:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن حفظ القرآن كله في صدره ودليل ذلك قول الله تعالى في سورة القيامة: ﴿

لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنبِئْ بِقُرْآنِهِ، ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ. ﴿١٩﴾ ﴿

وقد كان عليه الصلاة والسلام يعرض على جبريل ما حفظه في كل سنة مرة وذلك في رمضان، فلما كان العام الأخير عرض عليه مرتين:

روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مرحبا بابنتي، ثم اجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كالليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألته عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم، فسألته فقالت: أسر إلي: إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي. فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، فضحكت لذلك⁽²¹⁰⁾.

وقد حفظه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحرفه السبعة المنزلة:

روى الشيخان عن عبد الرحمن بن عبد القاري، أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرانها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لبيتته بردائه، فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرانيتها، فقال لي: أرسله، ثم قال له: اقرأ، فقرأ، قال: هكذا أنزلت، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقراءوا منه ما تيسر⁽²¹¹⁾.

ثانياً: حفظ الصحابة الكرام للقرآن الكريم كاملاً:

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مأمور بتبليغ القرآن لأصحابه بعد نزوله، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿

وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ... ﴿١٩﴾ ﴿

فكان كلما ينزل عليه شيء من الوحي إلا ويأمر أصحابه بكتابته ويبلغه عليه الصلاة والسلام للأمة.

هذا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحظ الصحابة على أخذ القرآن ويشجعهم ويعلمهم بحسن قراءتهم إذا سمعهم، ويأمر بأخذ القرآن عن طائفة منهم، ومن هذه النصوص:

⁽²¹⁰⁾ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، 489/2.

⁽²¹¹⁾ صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، 165-164/2.

1. روى البخاري عن مسروق قال: ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب⁽²¹²⁾.
2. روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي النبي - صلى الله عليه وسلم - : اقرأ علي قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمع من غيري، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾⁽²¹³⁾. قال: أمسك فإذا عيناه تذرفان⁽²¹³⁾.
3. روى البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود⁽²¹⁴⁾.

لذلك تنافس الصحابة الكرام في حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه، وكان منهم قراء كما في حديث خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب. ذكر السيوطي أسماء الصحابة الذين جمعوا القرآن في صدورهم فقال: وقد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات القراء من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فعده من المهاجرين: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعدا، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، ومن الأنصار: عبادة بن الصامت، ومعاذ الذي يكنى أبا حليلة، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد⁽²¹⁵⁾.

ثالثا: حفظ التابعين الكرام للقرآن الكريم كاملا:

بلغ الصحابة الكرام هذه المهمة كما تلقوها، وعلموها كما تعلموها حيث انتشر الصحابة في الآفاق وعلموا القرآن الكريم امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. ومن حفظ القرآن من التابعين: أبو العالية الرياحي، ويحيى بن وثاب الأسدي، وسعيد بن جبير، ويزيد بن القعقاع، ويزيد بن رومان، وعبد الرحمن بن هرمز، وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب، وغيرهم⁽²¹⁶⁾.

القسم الثاني: جمع السطور: ويقصد به كتابته في أي وسيلة من وسائل الكتابة وتدوينه فيها:

وقد مر هذا الجمع بثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: تدوينه زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم:

⁽²¹²⁾ صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه، 38/3.

⁽²¹³⁾ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، 210/3.

⁽²¹⁴⁾ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، 355/3.

⁽²¹⁵⁾ الإتيان، 203-202/1.

⁽²¹⁶⁾ ينظر: الإتيان، 204/1.

قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي مِصْحَفٍ وَاحِدٍ، بَلْ كَانَ مَفْرُقًا فِي عِدَّةِ أَدْوَاتٍ، وَدَلِيلَ ذَلِكَ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَحَدُ كُتَّابِ الْوَحْيِ بِالْمَدِينَةِ: فَتَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، وَالْحَدِيثِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ⁽²¹⁷⁾.

سبب ذلك؟

ترقب ورود الناسخ لبعض الأحكام.

مع العلم أن الحاجة لم تكن ملحة لذلك، وغلبة الأمية وقلة من يكتبون، وقد كانوا أهل حفظ واستحضار عجيب. وقد كان عليه الصلاة والسلام مهتما بكتابة الآيات التي تنزل عليه، أما أصحابه بتدوينها. بل إنه عليه الصلاة والسلام نهى عن كتابة شيء غير القرآن. روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني، ولا حرج، ومن كذب علي - قال همام: أحسبه قال - متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

وقد مات عليه الصلاة والسلام، ولم يكن كتب شيء غير القرآن.

بواب البخاري بابا في صحيحه فقال: باب من قال: لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدفتين، وروى بسنده عن عبد العزيز بن رفيع، قال: دخلت أنا وشداد بن معقل، على ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له شداد بن معقل: أترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين قال: ودخلنا على محمد ابن الحنفية، فسألناه، فقال: ما ترك إلا ما بين الدفتين⁽²¹⁸⁾.

قال ابن حجر في الفتح:

أي: ما في المصحف، وليس المراد أنه ترك القرآن مجموعا بين الدفتين لأن ذلك يخالف ما تقدم من جمع أبي بكر ثم عثمان.

كُتِّبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

تصدى لهذه المهمة النبيلة زمان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عدد من أصحابه ممن كانوا أتقنوا فن الكتابة. ذكر من قبل الأسماء التي ذكرها ابن كثير من كتاب الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومن جملتهم: الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وأبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري، وأرقم بن أبي الأرقم، واسمه عبد مناف بن أسد بن جندب، وثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن

⁽²¹⁷⁾ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ،

عبد مناف، وزيد بن ثابت، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، أخو عثمان لأمه من الرضاعة، والعلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عباد، وشريح بن الحضرمي، ومحمد بن مسلمة بن جريس بن خالد بن عدي⁽²¹⁹⁾.

كيفية جمع القرآن في هذه المرحلة:

في مستدرك الحاكم: عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه -، قال: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نؤلف القرآن من الرقاع، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوبى للشام، فقلنا: لأي شيء ذاك؟ فقال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وفيه البيان الواضح: أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو في ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنهم أجمعين -⁽²²⁰⁾.

الوسائل المعتمدة في الكتابة:

اعتمد الصحابة رضي الله عنهم في كتابة القرآن الكريم على جملة من الوسائل التي كانت متاحة لديهم، ومنها:

1. العُصْب: جمع عسيب، وهي الجريدة من النخل، يكشطون حوصها ويكتبون في الطرف العريض.
2. اللِّخَاف: جمع: لِحْفَة: وهي الحجارة الرقاق.
3. الرِّقَاع: جمع رُقْعَة، تكون من جلد أو ورق أو كاغد.
4. الأكتاف: جمع كَتِف، ويقال: الكَتِف والكِتْف: وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا عليه.
5. الأقتاب جمع قتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.
6. الألواح: جمع: لوح، وهو: كل صحيفة عريضة من خشب أو عظم كتف إذا كتب عليه.
7. الطُّرَر: حجر له حد كحد السكين، جمع: طِرَار.
8. الكرائيف: جمع كُرْنِافَة، بالضم والكسر، وهي أصول الكَرْب - السعف الغلاظ العراض - تبقى في الجذع بعد قطع السعف.

9. القراطيس: جمع قرطاس، وهي الصحيفة الثابتة - من أي شيء كانت - التي يكتب فيها، أو الكاغد⁽²²¹⁾.

ملاحح هذا الجمع:

1. لم يكن مكتوباً على هيئة كتاب واحد، وإنما كتب على ما تهيأ لهم من وسائل.

⁽²¹⁹⁾ ينظر: البداية والنهاية، 8/321-356.

⁽²²⁰⁾ مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، 2/275.

⁽²²¹⁾ ينظر: الإتيان، 1/168.

2. تضمنت الكتابة ما نسخ منه في العرصة الأخيرة.

المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه:
سبب الجمع:

1. موت النبي صلى الله عليه وسلم: ففي حياته عليه الصلاة والسلام أمان من ذهاب القرآن وضياعه، وعند موته تغير الحال، وخاف الصديق رضي الله عنه.

2. انتهاء زمن نزول القرآن.

3. حادثة اليمامة:

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرآن القرآن، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب، عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبع القرآن أجمعه من العُشب، واللِّخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: 128]. حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر - رضي الله عنه -⁽²²²⁾.

المكلف بمهمة الجمع:

هو زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

أسباب اختياره لهذه المهمة:

هي مقومات جسمية وعقلية وعلمية، وتمثلت في:

1. كونه رجلاً شاباً.

2. كونه عاقلاً.

3. كونه أميناً غير متهم.

4. له تجربة سابقة في الكتابة.

⁽²²²⁾ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ،

5. حفظه للقرآن حفظ صدر.

6. شهوده للعرضة الأخيرة

قال أبو بكر - رضي الله عنه - له: إنك رجل شاب، عاقل، لا تنتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه.

مصادر هذا الجمع:

هما مصدران: المكتوب والمحفوظ.

المكتوب: من الرقاع، والأكتاف، والعصب...

المحفوظ: من صدور الرجال.

قال زيد بن ثابت - رضي الله عنه -: فتتبع القرآن أجمعه من العُصْب واللِّخَاف وصدور الرجال، حتى وجدت

آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: 128]. حتى خاتمة براءة.

مميزات جمع القرآن في هذه المرحلة:

1. اقتصر في هذا الجمع على ما لم تنسخ تلاوته وما ليس بقرآن.

2. جمعت الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن جميعا.

3. إجماع الأمة عليه.

4. جمع على أدق وجوه البحث والتحري.

5. كان مرتب الآيات دون السور.

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه كما مر معنا: وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله،

ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -:

سبب الجمع:

سبب الجمع هو اختلاف القراءة للقرآن الكريم من الأمصار المختلفة لما كانوا في الغزو، حتى كان يكفر بعضهم

بعضهم.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام، في

فتح إرمينية وأذربيجان، مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين: أدرك

هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة؛ أن أرسلني إلينا بالصحف

ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد

بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا

اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة، أو مصحف، أن يحرق⁽²²³⁾.

المكلف بمهمة الجمع:

كلف عثمان رضي الله عنه أول الأمر بهذه المهمة رجلين من الصحابة هما: زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص.

سبب الاختيار:

أما زيد فلحفظه، وأما سعيد فلفصاحته.

روى ابن أبي داود في المصاحف، وصححه ابن حجر عن علي بن أبي طالب أنه قال: فقيل: أيُّ الناس أفصح؟ وأيُّ الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرأهم زيد بن ثابت. فقال عثمان: ليكتب أحدهما، ويُملِّي الآخر، ففعلوا، وُجِّع الناسُ على مصحفٍ⁽²²⁴⁾.

ثم زاد عثمان رضي الله عنه في عدد اللجنة المكلفة بالجمع، فصاروا اثنا عشر رجلاً.

روى ابن أبي داود في المصاحف، وصححه ابن كثير، عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفح قال: لَمَّا أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أُبَيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت⁽²²⁵⁾.

روى البخاري في صحيحه عن أنس أن عثمان دعا زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا ذلك⁽²²⁶⁾.

مصادر هذا الجمع:

مصدر هذا الجمع هو صحف أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه.

في رواية الإمام البخاري السابقة: فأرسل عثمان إلى حفصة؛ أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

مميزات جمع القرآن في هذه المرحلة:

1. إثبات ما هو متواتر فقط، وإبعاد غيره، منسوخا كان أو لم يكن قرآنا أصلا:

⁽²²³⁾ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، 344/3.

⁽²²⁴⁾ كتاب المصاحف، ص 24، وصححه ابن كثير في فضائل القرآن، ص 29.

⁽²²⁵⁾ كتاب المصاحف ص 25، وأورده الحافظ ابن كثير من طريق ابن أبي داود، وقال: إسناده صحيح. فضائل القرآن ص 29.

⁽²²⁶⁾ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب نزل القرآن بلسان قريش، 464/2.

قال السيوطي: وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقدم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد⁽²²⁷⁾.

2. إبعاد ما كان آحادا.

3. إجماع الصحابة عليه:

قال ابن حزم في الفصل: إنما خشى رضي الله عنه أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين، أو أن يهيم واهم من أهل الخير فَيُبَدِّل شيئاً من المصحف يفعل ذلك عمداً، وهذا وهما، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجتمعا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفاً، لكي إن وهم واهم، أو بدّل مبدّل، رجع إلى المصحف المجتمع عليه، فانكشف الحق وبطل الكيد والوهم⁽²²⁸⁾.

4. اشتمل الجمع على الأحرف السبعة على ما كانت عليه صحف الصديق أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً.

5. كان مرتب الآيات والسور.

6. نسخ منه عدة مصاحف، لتشمل وجوه قراءاته ثم أرسلت للآفاق.

زمن جمع المصاحف العثمانية:

كان الجمع في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل خمس وعشرين.

قال ابن حجر في فتح الباري: فيكون ذلك بعد مضي سنة واحدة من خلافته، فيكون ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين، وأوائل سنة خمس وعشرين، وهو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أن أرمينية فتحت فيه، وذلك في أول ولاية الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة، من قبل عثمان، وغفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر لذلك مستنداً⁽²²⁹⁾.

الفرق بين جمع القرآن في مراحل الثلاث:

يظهر الفرق جلياً من جانبين هما: الأسباب والكيفية.

الفرق في أسباب الجمع:

السبب في العهد النبوي:

الزيادة في التوثق والتحري بضبط الألفاظ، وحفظ الكلمات.

السبب في العهد البكري:

⁽²²⁷⁾ الإنتقان، 177/1.

⁽²²⁸⁾ الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن حزم، 212/2-213.

⁽²²⁹⁾ فتح الباري، 21/10.

خوف ضياع شيء من القرآن بذهاب حملته.

السبب في العهد العثماني:

درء الفتنة، وسد باب الشقاق والاختلاف الذي حصل بين الناس.

الفرق في كيفية الجمع:

كيفية الجمع النبوي:

كتابة الآيات مرتبة في سور على ما تيسر من وسائل الكتابة، دون أن يكون مجموعا في مكان واحد.

كيفية الجمع البكري:

جمع ما كتب في زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - في وسائل متعددة في صحف دون أن تكون في مصحف.

كيفية الجمع العثماني:

نقلت صحف أبي بكر في مصاحف، وإرسالها للآفاق.

القسم الثالث: الجمع الصوتي للقرآن الكريم:

الجمع الصوتي: هو نوع من أنواع حفظ القرآن الكريم في العصر الحديث، وذلك بنقل أداء المتقنين للقرآن الكريم

بقراءاته بأصواتهم للأجيال المتعاقبة.

بواعث الفكرة:

1. تيسير تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه، وذلك لأن المصاحف المرتلة نماذج صوتية ممتازة للترتيل الذي يستطيعه كل أحد، وهي طريقة جيدة لتيسير الحفظ والتعليم خاصة في المجتمعات المسلمة الناطقة بغير العربية.

2. الدفاع عن القرآن الكريم ضد الطاعنين عليه، والمتشككين فيه⁽²³⁰⁾.

صاحب المشروع: هو الأستاذ: لبيب السعيد، كان موظفا بوزارة المالية المصرية، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف ليشرف

على الموضوع.

مشروع الفكرة:

ذكر الأستاذ لبيب السعيد أن هذه الفكرة راودته سنين عديدة وكان يؤلمه موت القراء المتقنين، مع وجوده بعض من

يدعمه في المضي قدما لتنفيذ هذا المشروع.

تاريخ طلب تنفيذ المشروع:

كان ذلك في أواخر فيفري، أو أوائل مارس سنة: 1959 م إلى مجلس إدارة الجمعية العامة للمحافظة على القرآن

الكريم.

ما جاء في نص المشروع:

جاء في نص المشروع:

بسم الله الرحمن الرحيم.

اقتراحٌ مقدّمٌ إلى مجلس إدارة الجمعية من رئيسها

لبيب السعيد

بشأن تسجيل القرآن الكريم صوتيًا بكل رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة.

يُمكن الآن أن يتجاوز المسلمون التسجيل الكتابي للقرآن الكريم إلى تسجيله صوتيًا، فيصبح لديهم التسجيلان كلاهما. وقديمًا تطور تسجيل الكتاب العزيز من الكتابة على العظام واللِّخاف وعسيب النخل، إلى تسطيره على الجلد والقماش، ثم الأوراق بأنواعها.

وكما تطورت طريقة كتابة المصحف بأن أضيف إليه النقط والشكل، والضوابط والمحسنات الخطية، تطورت أيضًا طريقة التسجيل من الكتابة باليد إلى الطباعة.

على أن أهم وسيلة لنقل القرآن الكريم عبر الدهور، كانت وما زالت روايته وتلقينه مباشرة وشفاهًا، فمَّا لفم، وهذا هو المعتمد عند علماء القرآن، لأنَّ في القراءة ما لا يمكن إحكامه إلا عن طريق السماع والمشاهدة.

ومتابعة للتطور، وتأكيديًا لطريقة النقل الشفوي، وتطويرًا لها، يمكن الآن الاتجاه إلى تسجيل القرآن الكريم تسجيلًا صوتيًا، ولعل هذا الأسلوب أن يكون هو أصلح أساليب العصر، وأكثرها تيسيرًا على المسلمين في تلقي الكتاب العزيز، مجودًا ومتلواً بمختلف القراءات.

ومعلوم أن لدى دور الإذاعة تسجيلاتٌ من آي الذكر الحكيم من ترتيل بعض القارئین، ولكن التسجيلات التي نريدها هي من طراز آخر، فالتطريب ليس من أغراضها، وإنما التعليم هو غرضها الأول، ومفهوم أن الفرد العادي لا يستطيع، ولا يجب عليه في حياته العملية، أن يقرأ القرآن بالطريقة التلحينية التي يذيعه بها الآن القراء في دور الإذاعة، وفي المحافل.

والملاحظ الآن أن كثيرًا من المسلمين لا يُحسنون - مع الأسف - أداء الكتاب العظيم، حسب أصول التجويد، مع أنهم بالضرورة يؤمنون بهذا الكتاب، ويحبونه، ويستهدونه. والملاحظ أيضًا أن أغلب حفاظ القرآن الكريم لا يعرفون غير رواية حفص، وهذا وذاك أمران بالغا الخطورة، ويتعين على الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم، وهي التي تعمل ليظل ميراث القرآن محفوظًا أحسن حفظ على مدى الزمن، أن تطبَّ لهذه الحال عاجلاً. وربما كان مشروع تسجيل القرآن صوتيًا من كبار علماء القرآن هو السبيل العملية السهلة إلى العلاج المنشود.

ولست هنا بصدد التنويه بفضل القرآن الكريم على العالمين، ولا الإشارة إلى ما يرجى من وراء تعلمه واتباعه وتلاوته حق التلاوة، من خيرٍ يعمُّ البشرية، ويهيئ للمسلمين والعرب الإمامة في الأرض، فهذا كله أوضح من أن يوضح، ولكن الذي أشير إليه هو أن المسلمين - في مختلف البقاع - يتلهفون على وسيلة ميسورة يتعلمون عن طريقها كتابهم الأقدس، ويتلونه على نسقها تلاوة صحيحة يقوى عليها الفرد العادي.

ولا ريب أن الحاجة إلى هذه الوسيلة - بالنسبة للدول الإسلامية غير العربية - أمسُّ، وأن انتشار القرآن بفضل هذه الوسيلة سيكون أوسع، وطلابه سيكونون أكثر، وأن المصحف المسموع سيكون سببًا خطيرًا لزيادة توثق العلاقات بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها...

إلى أن قال:

وفيما يختص بالتسجيل نفسه، أقترح أن يشمل تلاوة الكتاب العزيز كله بقراءة حفص، ثم بمختلف القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة، على أن لا تُردّد الآية الواحدة بأكثر من قراءة واحدة في التلاوة الواحدة، كما يشمل التسجيل دروساً عملية في أحكام التجويد بطريقة سهلة ميسرة، تمكن الجمهور العادي من الانتفاع بها.

أما فيما يختص بمن يتولون القراءة والتدريس العملي، فيجب أن يكونوا من أعلم علماء القرآن، مع مناسبة أصواتهم للتسجيل، وأن تختارهم لجان لها خبرتها القرآنية العظمى، ويشارك فيها الأزهر الشريف، والهيئات العلمية واللغوية والثقافية الأخرى.

وأقترح تشكيل لجنة من أعضاء الجمعية تضم إليها من تشاء ممن يُرجى نفعه لأعمالها، وتضع اللجنة منهاجاً كاملاً مفصلاً لتنفيذ المشروع، سواء من الناحية القرآنية، أو ناحية التسجيل الفني، أو من الناحيتين التمويلية والإدارية، كما تحدد المعاونات الممكن الحصول عليها من الجهات الحكومية والشعبية المختلفة، وكذلك تتولى اللجنة ترشيح أعضاء اللجان التي يعهد إليها باختيار علماء القرآن الكريم ممن سيناط بهم التسجيل...⁽²³¹⁾.

الخطة المقترحة لتنفيذ المشروع:

ملخص هذه الخطة ليضمن نجاح المشروع ما يأتي:

1. تشكيل لجنة متكونة من خيرة علماء القراءات يكونون أصحاب خبرة كبيرة في إلقاء كتاب الله، تتولى هذه اللجنة اختيار القراء الذين سيقروا، ومتابعتهم علمياً.

وقد تم تشكيل اللجنة الأولى والتي ضمت كل من:

الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي.

الشيخ عامر السيد عثمان.

الشيخ عبد العظيم خياط.

الشيخ محمد سليمان صالح.

الشيخ محمود حافظ برانق.

اختيار أعلم القراء، مع مراعاة الأصوات.

اعتبار الدقة في الأداء، ومتابعة اللجنة لذلك، مع إلغاء كل أداء لا يكون مرضياً.

أن يتم التسجيل بالقراءات المتواترة، باختيار راويين لكل قارئ بأشهر الطرق عنهم كبداية، ثم يتم مواصلة التسجيل بالطرق الأخرى.

عدم السماح بخلط طرق القراءة بعضها ببعض من أول القراءة إلى آخرها⁽²³²⁾.

⁽²³¹⁾ الجمع الصوتي، ص 102-105.

⁽²³²⁾ الجمع الصوتي، ص 110-113.

ثمرة المشروع:

كان الفراغ من أول تسجيل صوتي برواية حفص عن عاصم على يد القارئ الكبير محمود خليل الحصري في : 23
جويلية سنة: 1961 م، ووزع المصحف المرتل لأول مرة.
وفي سنة 1962 م تم تسجيل قراءة أبي عمرو البصري برواية الدوري⁽²³³⁾.
ثم توالى التسجيلات بعد ذلك حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.